

عبد السلام محمد السقا

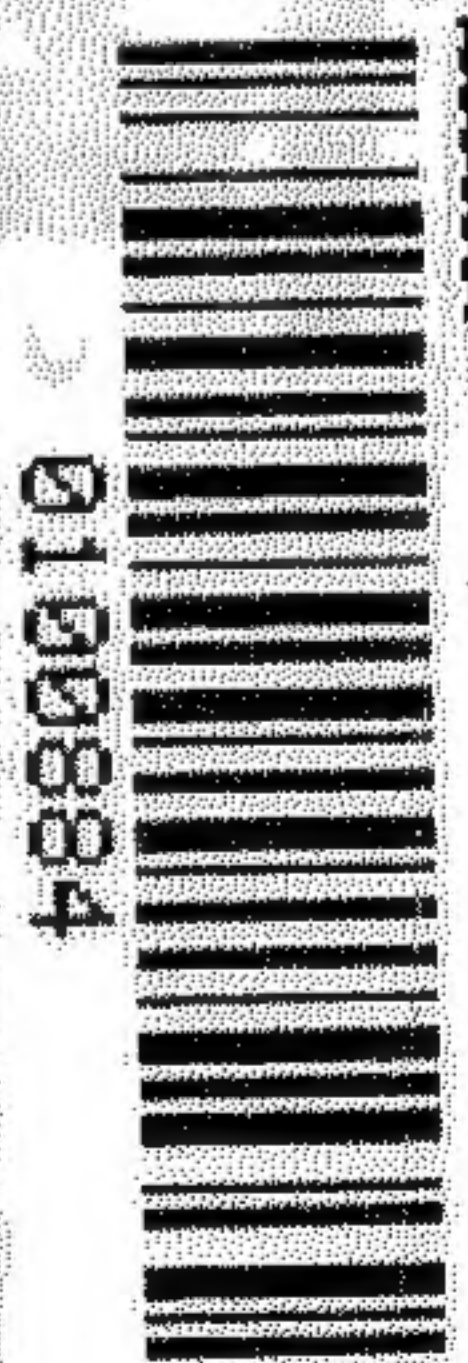


ديوان

أطلس مغرب

٣. المجلد

8



0100884

Bibliotheca Alexandrina



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

عباس محمود العقاد

الحا صبر مغرب



اسم المؤلف: د. محمد الفطير

اسم الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

تاريخ النشر: يناير ١٩٩٧

رقم الإيداع: ١٢٩٧٨/١٩٩٦

الترقيم الدولي: ٥-0536-14-977-I.S.B.N

تصنيف الفلاطيم: محمد الفطير

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

الترقيم الدولي: ٥-0536-14-977-I.S.B.N

تصنيف الفلاطيم: محمد الفطير

رقم الإيداع: ١٢٩٧٨/١٩٩٦

الترقيم الدولي: ٥-0536-14-977-I.S.B.N

مركز التوزيع: ٥٨ ش. كامل صليبي - القحالة - القاهرة

تصنيف الفلاطيم: محمد الفطير

رقم الإيداع: ١٢٩٧٨/١٩٩٦

الترقيم الدولي: ٥-0536-14-977-I.S.B.N

إدارة التوزيع: ٥٨ ش. كامل صليبي - القحالة - القاهرة

تصنيف الفلاطيم: محمد الفطير

رقم الإيداع: ١٢٩٧٨/١٩٩٦

الترقيم الدولي: ٥-0536-14-977-I.S.B.N

الإهداء

إليه يا من أوحى الشعر وخانت شاعره
لك أهديه لَوْحِيكَ

إليه يا من ليس يوحيه ويمسى ذاكره
لك أهديه لرعيكَ

هكذا أبرأ في الحالين من حمد خيانة
وأصون العهد ممن رام شعري بصيانة
وأدارى حيرتى خافية أو ظاهرة !

المقدمة فى اسم الديوان

شاعرٌ نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذى نأنس به
ونستطيب الكلام والصمت معه .

وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذى نستمتع به
ونحب القراءة فيه .

وبين الشاعرين فارق . فما هو ؟ أیكون الأول أصدق فى
الشاعرية وأجزل فى العبارة وأجود فى الصناعة وأجمل فى
الأسلوب ؟

قد يكون كذلك .

ولكنه كذلك قد لا يكون .

لأن الصديق الذى نأنس إليه ونستطيب الكلام والصمت معه
لا يلزم أن يكون خيراً من الغرب الذى لم نعرفه ولم نأنس إليه .
فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقاً وأجمل
سمتاً وأطيب سيرة . وإنما يحبب الصديق إلینا أنه یشاركنا فى
الشعور ويعیش معنا فى عالم نفسانى واحد ، وتلك بعینها هى
مزیه الشاعر الصديق على الشاعر الذى نقرأه ولا نشعر له بصداقة .
فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها ، وإن
لم یکن كذلك واختلفت بیننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير
فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء

آخرين لا يبتون فى نفوسنا العزاء ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق
نفاذ . أما الشاعر الذى نقرؤه ولا نصادقه فقد يجيد ويفضل غيره
فى الإجادة ولكنه غريب نلقاه كما نلقى كل غريب .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة
العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوروبية ليوباردى ، وهنريك هينى ، وتوماس
هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين والمعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم
الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«أنظرُ إلى المرأة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى
الله مبتهلاً إليه : أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلباً يذبل مثل
هذا الذبول !

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا ألم ولا أحزن ،
وإننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن
وسمت وقور .

غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا
يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف
هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة
واضطراب .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته
لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ
للأعاصير .

أعاصير مغرب ، اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . . لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان « الشيخ » هاردى فتمنى من أجلها ذبولاً فى القلب كذبول إهابه .

ورأى فى الغزل الذى نظمه هاردى بين السبعين والثمانين ليس بالرأى الحديث ، فلم أعجب به اليوم لأننى صاحب ديوان بعد « وحي الأربعين » . . . بل أعجبت به لأننى كنت أرى فى زمن الفتوة أن الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب ، ومتى بقى الشعور والتعبير فما الذى فنى من مادة الغزل والغناء ؟ .

واتفق منذ بضع عشرة سنة أننى كتبت فى هذا المعنى^(١) وأن كتابتى فيه كانت بصدد الكلام عن هاردى الذى أوحى إلى اليوم اسم ديوانى الجديد . فأثنت على غزله أجمل ثناء ، وقلت أجيب الأديب الأستاذ سيد قطب الذى استغرب إجادة هاردى شعر الغزل فى السبعين من عمره : « إن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يرجع فيها إلى تباين الآراء والأذواق ، وإنما هى مسألة حقيقة لا ريب فيها ولا اختلاف عليها . إذ كل ما يجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحياناً . . . هو أن نعلم أن توماس هاردى نظم شعر الغزل بعد السبعين وأن ما نظمه بعد تلك السن كان جيداً مقبولاً رضى عنه قراء الشعر واستزادوه ، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التى أحرزها فى عالم الشعر بين قراء

(١) البلاغ الأسبوعى ٩ مارس سنة ١٩٢٨ .

الأدب الرفيع بعد اشتهاره بالرواية وحدها فى سن الشباب . فهل نظم توماس هاردى غزلاً جيداً بعد السبعين؟ ! نعم . . . وإذا كانت نعم هى الجواب الذى لا بد منه فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل فى نفى هذه الحقيقة المقررة . . . » .

ثم قلت : «على أننا لو فرضنا أن توماس هاردى لم يُخلَق فى هذه الدنيا ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب - ولا مثل غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا فى المعانى الغزلية وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها - فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن ننتظر المعانى الغزلية بعد انقضاء الشباب؟ أما نحن فنقول : لا ؛ لأن الحب شىء والغزل شىء غيره ، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذى يدور عليه » .

«فالحب» عاطفة شائعة بين الناس ، بل شائعة بين من ينطق وما لا ينطق . ولسنا نعنى الصلة الجسدية التى تنقضى بانقضاء دوافع الفطرة فإن هذه لا تسمى حباً ولا هى من العلاقات القائمة بين فرد بعينه وفرد آخر بعينه ، لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع الإناث من فصيلة واحدة .

«ولكننا نعنى الصلة النفسية التى تجمع الفردين معاً بعلاقة لا يغنى فيها أى فرد آخر من الفصيلة . وقد ثبت للباحثين فى طبائع الأحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزاوج مدى الحياة وينتقل الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوروبا وأفريقية ثم يعودان من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة حتى يموت أحدهما أو يعتاقه عائق لا قدرة له عليه .

فالحب على هذا لا يستلزم الغزل لا فى الإنسان ولا فى غيره من الأحياء ، وإذا قلنا : إن لكل حى غزله الذى ينطق بما فى نفسه فليس يسعنا أن نقول : إن كل محب شاعر ، وإن كل متغزل فنصيبه من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء .

«إن الذين يقتلون أنفسهم حباً من غير الشعراء الغزليين أكثر جداً من الذين يبلغون فى الحب هذا المبلغ بين أولئك الشعراء . فلا ريب أن الشاعر لا يحسن الغزل بغير حب ، ولكن لا ريب كذلك فى أن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل ، وأن الغزل قد يعلو حين يهبط الحب ، على درجات لا تناسب بينها فى العلو والهبوط» .

« . . . والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة ، ولكن أى شباب وأى شعور ؟ فقد يقضى الفتى أوائل شبابه ولا معنى للحب عنده إلا أنه «وظيفة فزيولوجية» مبهمة يساق إليها بغير هداية ولا تمييز . وقد يطلب الشريك فى الحب وهو لا يعلم ما الذى يطلبه فيه وما الذى يأخذه منه وما الذى يعطيه ؟ لأن الحب عنده هو جوعة جسدية أو نفسية يشبعها أى شريك يصادفه ويلفيه على مثل حاله من الرغبة والاشتياق . وقد يكون احتدام شوقه ناقصاً من حبه ، كما أن احتدام الجوع فى الجائع يغنيه بكل طعام حاضر ، ويجعل الأكل هو المقصود لذاته ، لا الصنف ولا الطعم الذى يميز ذلك الصنف من سواه» .

«والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهم بين نفسين وامتزاج بين قلبين وجسدين ، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد التفاهم مع نفس حبيبه ؟ وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف

مواضع الكشف والحجاب من القلوب ؟ وقبل أن يكمل بناء جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام ؟ وقبل أن يعرف النساء كيف يعرف المرأة ؟ بل قبل أن يزاول الحياة كيف يزاول لباب العاطفة التي تنضجها الحياة ؟ .

«فليس الاحتدام هو الحب نفسه ، لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب ، كما أن الحب قد يلهب الاحتدام فيمن لم يكن يعانيه» .

« . . . فللشباب حبه ، وللرجولة حبها ، وللكهولة بعد ذلك حب لا يشبه الحبين» .

« . . . وإذا تقضى الشباب وتقضت بعده الرجولة وتقضت بعدهما الكهولة فهل تنفذ مؤنة الغزل وهل تبطل دواعيه ؟ كلا ! فهناك الحنين والتذكر وكلاهما مؤنة للغزل لا تنفذ وداعية حاضرة فى كل حين . ولو سألنا الشعراء الذين عالجوا النظم فى خوارج النفوس شيوخاً وشباناً لعلمنا منهم أن خير ما نظموه فى شوق أو حزن أو ألم أو خالجة ثائرة أياً كان فحواها إنما كان كله من قبيل الحنين والتذكر . لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعة العارضة ، فيسلس لهم المعنى ويصفو الشعور من كدر الدخان والضرام» .

« . . . فلا عجب أن يجيد هاردى الغزل أو يجيده سواء من الشيوخ سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التى لا ريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقرائح . وقد يحسن أن نذكر بعد هذا أن إجادة هاردى فى الغزل لم تكن إجادة مطلقة يطمع فيها

كل شيخ ينظم القريض وتثبت له العبقريّة ، ولكنها كانت إجابة هارديّة عليها سمة الرجل وفيها طبيعة مزاجه التي لم تفارقه في شباب أو شيخوخة .

ومضت الأيام والسنوات بعد كتابة هذا المقال فلم يكن فيما قرأت ولا فيما عرفت شيء يخالف ما بدا لي من هذا الرأي منذ نظرت في حقائق العاطفة والتعبير . وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة ألزم للحياة الإنسانية وألصق بها وأعمق فيها من أن تحصرها فترة واحدة أو تحتويها صورة أو يختتمها عهد واحد . فهي - ككل شيء في الحياة - تزداد فهماً على طول المصاحبة وطول المراس والمساجلة ، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير ويزداد الاستكناه والتصوير . وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم في عالم الشعور والجمال ، وهو عالم الفنون والآداب ، وهم الشعراء والموسيقيون والمصورون والممثلون .

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى . أو هو العهد الذي تُفاجأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها به خبرة من قبل . فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك في حالة كحالة الشاب في أول عشقه : وجه ساهم وفم مغفور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونفس مطرود . . . وهذه هي الحالة التي يخيّل إلى من يراها أنها العشق دون غيره ، مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعهدها البنية ولم تألفها النفس فلم تزل بها حاجة إلى التثبيت منها والرياضة عليها . ثم تأتي هذه الرياضة شيئاً فشيئاً مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور .

فى هذه الحالة - حالة المفاجأة - تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتجود القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف ، وتتسع للشاعر منادحٌ للإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلّين . ولكنّ سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه ، كالذى تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على التو والساعة فى الصورة المتوهجة التى أضفها عليه سحرها . ثم يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجهلها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور . فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهى لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ واصفها فى إحدى الحالتين .

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة ، فكيف يكون شأن العالم النفسانى الذى ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم الرحيب فى نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيفاً يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى ولا يعلم أنها هى صاحبة الدار ، وأنها هى الحياة ؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفسانى حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدعاً فى عالم الأكوان ولا فى عالم الإنسان .

وقد أشار علىّ صاحبنا هاردي فأحسن المشورة فيما اخترت لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب

وثوائر الصدور ، فلو بحثت له عن عنوان أدل على ما فيه لانقطع
عنان الاختيار دون المراد .

سألنى صديق يرى أننى تشاءمت من حيث يتفائل فقال : ولم
استعجلت المغرب وقد أجله صاحبك هاردى إلى ما بعد السبعين
بل الثمانين ؟

قلت : يا صديقى اقرأ أبيات بيرون إن شئت ولا تقرأ أبيات
هاردى إن لم تشأ . . . فإنما هى حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين
كما تلم به فيما وراء السبعين .

وبيرون ماذا قال فى السادسة والثلاثين ؟ ماذا قال وهو فى يقظة
الحياة ومعتك النضال ؟

نظم تلك الأبيات التى سماها بعضهم «عيد ميلاد أخير»
فقال :

«أن لهذا القلب أن يسكن ، مذ عز عليه أن يحرك سواه ، ولكنى
وقد حُرمت من يَهْوَى إلى ، حسبى نصيباً من الحب أن أهْوَى .

إن أيامى لمكتوبة على الورقة الداوية . إن زهرات الحب وثماره
ذهبت إلى غير رجعة . إنما السوس والديدان وحسرة الأسى ، هى
لى . . . لى وحدها تحيا .

وهذه النار التى تأكل الحنايا ، كأنها جزيرة بركان فى عزلة قاصية
حممها لا توقد جذوة أخرى ، وإنما هى نار تببت على سرير الردى .
وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغيرى . ذلك الحظ المقسوم

من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى منها
حصّة تبقى ، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى ؟ .

* * *

نظم بيرون هذه القصيدة فى عيد ميلاده السادس والثلاثين ،
ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذى لا حب بعده ولا
حياة ، ولكن هكذا كان على ما أراد - أو على غير ما أراد - فماذا
تغنى السنون القصار أو السنون الطوال ؟ إنما هى حالات تلم
بالنفوس فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ،
والزمن وحده يصدقهما أو يكذبهما فيها يقولان .

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلا أن
ساعات الغروب هنا بغير حساب . فمنذ سنين جمعت دواوينى
الشعرية فسميت الجزء الأول منها «يقظة الصباح» وسميت الجزء
الثانى «وهج الظهيرة» وسميت الثالث «أشباح الأصيل» وسميت
الرابع «أشجان الليل» . . . ثم ظهرت لى بعد ذاك الليل وأشجانه
ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهديّة الكروان . وعابر سبيل ،
ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير . . . فهل
نحن راجعون ؟ وهل للشمس من «يوشع» يؤجل لها مواقيت
الغروب ؟ إن كان للشعر «يوشعه» فليس نصيب هاردى من مغربه
المديد أمنية أشبثيها ، وليس نصيب بيرون فى ضحاه القاتم نعمة
أرتضيها ، وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع
أسلوبه فى الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب .

عباس محمود العقاد

فى العالم يارب ... ويا خلق !

يارب !

يارب أعطيناك أرواحنا فى هذه الحرب وفى الماضىة
يا ربنا فاقض لنا مرةً بالسلم فى أيامنا الباقية

ياخلق !

يا نخلق ما أرواحكم سمحةً عندى ، ولا إن سمحت كافية
أعطيتكم إبليس أضعافها من حيوات عندكم غالية
وبعتم فى سوقه كل ما وهبتكم من عيشة راضية
لم تشتروا السلم بأرواحكم بل اشتريتم نقمة ثانية
عطاؤكم إبليس سمح بلا أجر ولا أمنية خافية
وما بذلتكم قط لى قربة إلا رجاء العفو والعافية !

عباد الطغيان

كلكم . كلكم مع الغالب الظا لم لا تعدموا من الظلم رغما !
لو وقفتهم يوماً إلى جانب المغلو ب ما فاز غالب قط ظلما

قريب قريب

عجبنا زمانا لهدى الحروب وما فى الحروب لَعَمْرى عجيب
أتعجب من أن قومًا تموت ت ، ومن أن قومًا قساة القلوب
وما قسوة الناس بدع ولا أرى موتهم بالجديد المريب
فهذه هى الحرب يا صاحبي كلا طرفيها قريب قريب

فصد !

قالوا : هى الحرب فصد به الشفاء يُؤمل
قلنا : نعم . فصد عرق حى وإعفاء دُمّل !

الخلود المزدرى

نفوسٌ أعاف مقامى بها أأخلد فيها؟ لبئس الخلود !
وسجنٌ أعاف وجودى به أليس كفيلا يبغيض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبي خالد يك ، وقل من مُزكّ لهم أو شهيد
فلا خير فى عيشهم سرمدًا إذا سُرمدوا فى ضمير القرود
فرب خلود كقييد السجين ، ونسيان قوم كفك القيود

سوء توزيع

دنياك فيها جمال ورحمة وسرور
تُلَقَى ولا تبتغيها وتُبْتَغى فتجور^(١)
هذا هو الشر عندى ومنه تنمو شرور

بأس الطغاة

بأس الطغاة تقول؟! مهلاً . عداك الدهول
هيهات يطفى ابن أنثى فى أمة أو يصول
ما لم يُعِنَّه عليها جهل وحق دخیل
هما الأصیلان فاعلم وكل طاغ وكـیل
وما لطاغ سبیل لولا هما أو دلیل

الداء العالمى

أرثى له عالمًا شقيًا يقاد مستسلمًا زريًا
ومن هم القائدون ؟ .. رهط
من شرهم خسة وغيا
هذا هو الداء لا قتال
يطوى صفوف الجموع بطيا

(١) جار عن الطريق : حاد عنه .

فالجهل يزرى بكل حى ولا تعيب المنون حيا

قلت للمريخ^(١)

قلت للمريخ أعلنه	وهو يذكى جمرة الغضب
ويك ! ما هذا الخراب ؟ وما	ذلك الإغراق فى العطب ؟
أثم تسطو على أم	ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على	عيلم ^(٢) للدمع منسكب
وقبور كظها تخمما	جثث الهلكى من السغب ^(٣)

قال : مه يا صاح أين ترى	كل ما استهلوت وأعجبنى
أرضكم ما زلت أبصرها	نائيا حيناً وعن كذب ^(٤)
هين ما قد تبدل من	سمتها فى هذه الحقب

جزاء الله

جزى الله هتلا أوفى الجزاء	بما قد أجاد وما قد أساء
فما زال يقذف من حوله	مواظ يلقفها من يشاء
ألم نر كيف يكون الحقيير	حقيراً ويقضى بأيدي القضاء
وينهى ويأمر فى قومه	ويبرم فى أمرهم ما يشاء

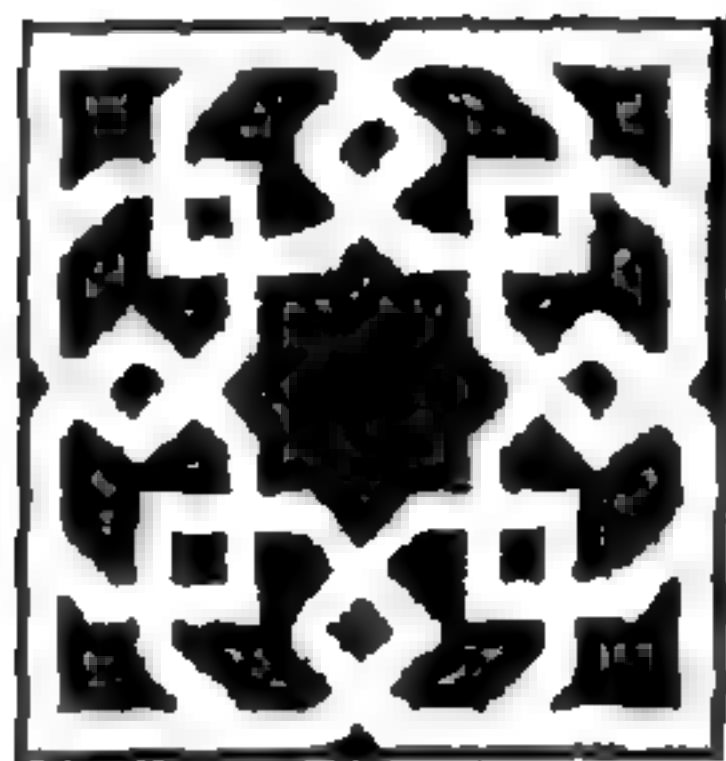
(١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب .

(٢) بحر .

(٣) الجوع

(٤) عن قرب .

ويغزو الممالك في عالم	تفدى ممالكه بالدماء
ويفتح باريس في وثبة	ويوصل لندن دون الهواء
فوالله ما الحرب في هولها	وفي كل ما خيبت من رجاء
بضائعة عبثا لو درى	بنو آدم كيف يُزجى الثناء
فقد يضح العمل المزدري	فيضح ضعفين في الازدراء



فى النفس
هذا هو الحب !
غريزة تسأل : ما الحب ؟
بُنيتى ! هذا هو الحب !

الحب أن أبصر ما لا يرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغ الحق ما سرّنى فإن أبى ، فالكذب المفتري

الحب أن أسأل : ما بالهم لم يعشقوا المنظر والخبر ؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بُهراً وما فكرا ؟

الحب أن أفرق^(١) من غلة حيناً ، وقد أصرع ليث الشرى
وأن أرانى تارة مقبلاً وخطوتى تمشى بى القهقري

الحب كالخمر فإن قيل لى سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل نعم ، ولا أحفل أن أسكرا

الحب أن يفرق أعمارنا . عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحسبني الأكبر حتى إذا عانقتنى ألفتينى الأصغرا

(١) أخاف .

الحب أن نصعد فوق الذرى والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا وأن نرى ألامنا أثرا

الحب أن أجمع فى لحظة جهنم الحمراء والكوثرا^(١)
واننى أخطئ فى لهفتى من منهما روى ومن سغرا

الحب أن يمضى عام وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علقت فى ساعة حواشى الدفتر والأسطرا

بُنِيَّتِي ! هذا هو الحب
فَهِمَّتْهُ ؟ كلا . ولا عَثْبُ !
مَسْأَلَةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها ، لو شَفَتْ حسب ،
إشارة دق لها القلب

عمر زهرة

فريدة فى روضها أخيرة فى الموسم
عيشى وأهدى غيرها فى كل عيد ، واسلمى
ألسنت أنت مثلها علمت أو لم تعلمى
هدية الخلاق لى وقد رأى تنسمى ؟^(٢)

(١) الكوثر: نهر فى الجنة . (٢) تنسم ، تلتف فى طلب الخبر أو الرائحة .

زهرك البيضاء هلاً تذكرين نشرها؟ (١)
حفظتها في خدرها هل برحت مقرها؟
حفظتها . حفظتها فهل حفظت سرها؟
قصصت منها عقدة لكى أطيل عمرها

من يحفظ الزهرة أسبوعاً إلى تمامه
قد يحفظ الحب إلى السابع من أعوامه
فانتظريه فى غد يسأل عن غرامه
ولا يمسه إلا لكى يزيد فى أيامه

وتسألين مالنا نقص منه يا ترى؟
نعم فكل حى ناقص ما عُمراً
كم ساعة نبتورها تزيد فيه أشهراً
فلا يزال مشتهى ولا يزال أخضر

كوبيد يتسلل

نفض النعاس فؤاده وصبها
ونفى السامة بعد ما بلغت
وجرى الذى ما كان يحسبه
فى توبة الخمسين يشغله
ويظل يسأله ، وإن وهبا ...
وصبحا ، فمال ، فهام فاضطربا
منه المشاش (٢) ، وعاود اللعبا
يومًا يكون ، وطالما حسبا
وجه ، ويملاً صدره رغباً
وبييت يسمعه ، وإن كذبا

(١) راثحتها .

(٢) رأس العظم .

ويعسد منه الزور مسأثرة
رجع الهوى . عجباً له ، عجباً !
لم أوله باباً ولا كنفاً
ناديئته حيناً فراوغنى
بيناً أقول صدده حذراً
لذ يا بنى بمن يلاذ به
أولا يريد بزوره سبباً ؟
لا طاغياً وافى ولا لجباً
عندى ، فكيف أطل واقترباً
فاليوم نادانى وما طلباً
طلع النهار إذا به انسرباً
ولك الحمى ، وما لم تهج غضباً

* * *

هذا الصغير على غرارته
وتراه فى العشرين مستبقاً
ويغيط من كيد وعريضة
متمرساً بالدهر مختبراً
سأضمه رفقا ، وأوسع
ويقيم لا أخشى كنانته (٣)
يدرى النفاق ويحسن الأدبا
وتراه فى الخمسين مصطحباً
فإذا أغيط شكاً أو انتحباً
خيم (١) القلوب محاذراً دربا
براً ، وأملك قلبه حدباً (٢)
... السهم أخطأ والحسام نبا

* * *

أكذاك أم هو خادعى أبداً
سيان . ما أنا حاذر لغد
حذرى أشد على من خدع
فى كل يقظة خائف هرم
حتى إذا أمن الحمى انقلباً ؟
أغلبته بالكيد أم غلباً
تُشقى وتُسعد بالمنى ثوباً
ومع الخديعة لذة وصيباً

* * *

(١) الخيم : الطبيعة .

(٢) عطفاً .

(٣) قدماء اليونان يصورون الحب طفلاً يحمل كنانة يرمى بأسهمها من يلقاه .

مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع^(١) يدي وضُمن الطرس إحساسى وإدراكى
مالى به غير مسرور ولا كلف ألا يسرُّ عينا نبثها الزاكى
ضبعتُ فيك مسراتى فما بقيت لى من مسرة شىء غير لقياك
لولا هواك لألهانى السرور به عن عالم ضاحك أو عالم باك

دنيا مقلوبة

صوت النذير^(٢) الذى أبقاك خائفة على ذراعى قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانية إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحب والحرب واويلا قد اجتمعا فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

الحب

ما الحب روح واحد فى جسدى معتنقين
الحب روحان معاً كلاهما فى الجسدين
ما انتهيا من فرقة أو رجعة طرفة عين

الطير المهاجر

علمتنى مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم
أترانى لا أسمع الطير إلا فى رياضى معششاً لا يريم^(٣) ؟
رب شاد فى هجرة يتغنى وعليه السلام والتسليم

(١) القلم .

(٢) النذير بالغارات .

(٣) يفارق .

من جنوب إلى شمال ، وحيناً
 فله حين يستقل^(١) وداع
 خذ من الطير كل يوم جديداً
 كم مؤلّ وصفوه لا يؤلّي
 من شمال إلى جنوب يحوم
 وله حين يقبل التكريم
 فسواء جديده والقديم
 ومقيم وصفوه لا يقيم

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك

هنا هنا عند قلبي يكاد يلمس حبي
 وفيه منك دليل على المودة حسبي

ألم أنل منك فكرة في كل شكة إبرة
 وكل عقدة خيط وكل جرة بكرة !

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك
 والقلب فيه أسير مطوّق بحصارك !

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
 سليه : هل مرّ منه إلى طيف غريب ؟

(١) حين يبرح ويسافر .

نسجته بيدك على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى ما زلت فى إصبعيك

قولنى مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

حديثك الممتع لى
من تغرك المقبل
وأنت لى فى منزلى
وشيكاً أن تنحجلى

من قبلة حرى إلى لغو إلى ابتسامة
ولا تقولى عندها لا . لا . مع السلامة

حتى إلى القيامة

أما إذا مسرتنى (١)
نادتك يا حبيبتى
فاستمعنى تحيىتى
ثم «اسألى عن ليلتى»

(١) ترجمة حديثة لكلمة التليفون .

ثم اضحكى وسلسلى
ضحكتك النُّغامة

فإن أطلت بعدها فهذه علامة
قولى مع السَّلامة قولى مع السَّلامة

الغيرة

إذا رابك القلب الذى لا تنوشه مخالب من وسواسه أو نواجذ^(١)
فلا تحسبى أنى خلئ من الهوى ولا أننى سأل هواك فنايذ
ولكننى راض بما تظهريه وما أنا فى السر المغيب نافذ
فلست إلى ما فات منك تراجع ولا أنا مُعطٍ فوق ما أنا آخذ

هبة لا تنقل

تريدى قلبي؟ خذيه خذيه !... رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
دعيه إذا غبت عنى أرى محياك فيه ، وحبى فيه
وسرُّ أبوح به خلصة وإن كنت من قبل لم تسمعيه
أخاف على البعد أن تلعبى به يا بنية أو تهمليه
فكم لعبة وقعت من يد يك وقوعاً أرى القلب لا يشتهيه
إذا ما لعبت به ها هنا فإننى لآمن أن تكسريه
تريدى قلبي ؟ خذيه خذيه ولكن بربك لا تنقليه

(١) ناشه : تناوله وأخذ به ، والنواجذ : أقصى الأضراس .

بعض الزراية

بعض الزراية نافع فى حبهن فلا تُغال (١)
لولا الزراية لم تطق منهن مشنوء (٢) الخصال
ما حبهن من المها نة فى قرارته بخال

قبل السكر

لمع الشراب وراق منظره فرشفت منه خلاصة الراح
حتى إذا غالبت سكرته صفقته (٣) ، فرددت أقداحى
شكرًا . فما أقسى المغبة لو أمسى يشاب ولست بالضاحى
قدحانٍ أسلم لي ، وإن فتنت عينى لمعة حسنه الضاحى

لغير البيع !

جواهر الحب قالوا غير زائفة مهلا ! فما أنا فيه بائع شار
كلا ، ولا أنا من شك ولا ولع بالسر عارض أحجارى على النار
خذ معدن الحب إن ألفيت معدنه إني قنعت بومض منه غرار
ما للأناسى من حب يدوم ولا حب يقوم على صدق وإيثار

(١) أى : لا تبالغ .

(٢) المشنوء : المستقبح .

(٣) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء .

جزاء التحدى

بُنِيَّة ما صنعت ؟ جزاك ربى
لقد غيرتنى حتى لو انى
سلينى كيف كنت وكيف صرت
قدرت على الحوادث بعد لآى^(١)
بحب فى مشييك مثل حبى
أرى قلبى إذن لجـهلت قلبى
وقولى ما صنعت وما صنعت
وها أنا ذا كَأْنى ما قدرت

أخاف وكان لى قلب قرير
أتوق إلى غد لتراك عيني
فها أنا ذا إذا صَفَر النذير^(٢)
وأرجم من يغار بمن يغير

وكانت لى سلالم أرتقيها
فعدت مُثْنِيًا عَجَلًا كَأْنى
فرادى لا أبالى ما يليها
أخو العشرين مرتقيًا سنيها

وكنت من السامة لا أبالى ...
فها أنا ذا أسائل ما عساها
أذم الناس أم حمدوا فعالى
ستسمع فى من قيل وقال

وكنت هزئت حتى بالجمال
فما لى اليوم لا أرضى بحال
وحتى بالفنون وبالمعالى
وكنت الأمس أرضى كل حال؟

(١) اللآى : البطء .

(٢) نذير الغارات .

أعود إلى الحياة فتلك عندي هموم المستعيد المستعد
تحديث الحياة فهل جزتني بهذا الحب عن ذاك التحدي؟

إعفاء

أعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء . !
خونى ! فما أسهل التقصّي عندي وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى فَقَدْكَ يا زينة النساء

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يُعقب الشكوى
فحبى من النعمى ، وليس من البلوى
بنلت له نارى ثلاثين حجة
فلا نار بعد اليوم . . . اليوم للحلوى ! (١)
ومحضته ماء الشباب فما ارتوى

فهل فى خريف العمر يطمع أن يُروى
رضيت بما أعطى وأحسبه ارتضى بما أنا معطيه على غير ما يهوى
فلا زال فى عقباه ضحكا بلا بكاء ووصلا بلا هجر ، وهجرا إلى سلوى

(١) يستقيم الوزن بالوقوف التام على «اليوم» الأولى ، ثم الاستئناف على «اليوم» الثانية - وهو
مالا يجيزه التشديدون من العروضيين ويؤثرون عليه إدخال فاء العطف على «اليوم» الثانية .

زهرة ديسمبر

خل أيّار^(٢) ونوّاراً له ربما أعجب قسوماً ربما
خير نوّارى الذى أهديثه زهرٌ فى شهر كانون^(١) غما
عيد ميلادك من بستانه يا ربيعاً فى الشتاء ابتسما
هات يا كانون زهراً كلما سقط الزهر تعالى وسما

من تقليد «نشيد الأناشيد»

أجلّ تلك خباياها وهاتيك خطاياها
فهل تدرين ماذا لك الذى يدعى مزاياها؟!

لما فيها من العيب سننساها وننساها
وللحسن الذى فيها سنحى الآن ذكراها

سأحصى لك ما يعجب منها ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضب بعد السعى والدس

ثناياها . ثناياها وهل ذقت ثناياها ؟
وعيناها ، ويا للقلب ! كم تسببه عيناها ؟!

(٢) أيار و كانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء .

وتلك الوجنة الخمر ية السكران رائبها
أفى الجنة يارضسوا ن تفاح يحاكيها ؟!

وتلك القامة الهيفا ء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها أقام الجور نهداها

وتلك النسمة الحلوة فى ثوب الأناسى
هى الروح الفسراش ية فى النور السماوى !
دعيها تفسد الخمس ين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الإكس ير باسم الحب يحيينا

وعندى من حميا^(١) الش عر إكسرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدن ياربيع دائم باق !

مزيج

ما الحب من محض الصداقة يابنى ، ولا العدا
الحب فيه الخصبلتا ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء والاغتصا ب ، وقل على الدنيا العفاء!

(١) الحميا : سوره الخمر .

مسابقة

أغنيتها عن خدعتي زمتا وخدعت نفسي في محبتها
فبلغت أقصى الظن بمتحنا صبرى ، ولم ألحق بخطوتها

لا تخلفى !

لا تخلفى وعدى فأكبر لذتى فى الحب إعزازى لصاحب عهده
ويغض من إعزازة ودلاله أنى إذا وعدت ازدريت بوعدده

أخلفى

إن كان خلفك للوعود تدللا بمكانك الغالى لدى فأخلفى
ما كنت أتبعه القطيعة أنه هو منك واعجبى يطيل تشوفى

بنت البحر

أبنيّة البحر التى ضربت لنا بسكندرية موعداً لتلاق
إنى مددت يدي لتلمس شاطئى قدماك لا لتعجلى إغراقى

اكذبنى

اكذبنى مرة أو فاكذبنى مرتين

ألف ألف من أعاجيبك فى غش ومين (١)
لن تبسّد الفارق الخا لد يا قرة عيني
والسمّاءات التى بينك فى اللب وبينى

اكذبينى واكذبينى كلما شئت اكذبينى
ما غناء اللب عندي إن أبى أن تخدعيني
أنا فى ثروة وفـر منه مهما تسلبيني
أنقصيها . أى ضير؟ درهماً أو درهمين !!

تقويم العام

تقويم هذا العام من لحظاته الأولى لديك
قومي ارفعيه وارفعي عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعته إلى رجعه موقوف عليك

وإذا انتهت أيامه ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه .. وترحّبين بما تلاه
ويحي إذا دار المدى ورعيت وحدي ملتقاه !

(١) المين : الكذب .

هي قُبلة ضَمَّتْ عُرَى عامين فاتصلا اتصالا
ومُنَى الخواطر في غد عام كسابقه مالا
لا تَعْجَلَنَّ به فما أقسى الحياة على العجالي

لا . لا . فهذا يومنا وغدٌ ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمض عيني ومس تتمع إلى حادي الرجاء
فإذا سمعتِ حُداءه فدعيه يمضي حيث شاء

وعام ثان

بشرای . ما أنا شاهد يا عام وحدي ملتقاك
دارت بُرُوجُك والهوى يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلا ومضى ، فلم أذم قفاك

هذي فتاتي هذه ! هي لا خلاف ولا اشتباه
هي في بديع قوامها هي في الصبا ، هي في حلاه
هي في غوايتها وآ ه من غوايتها وآه

ضُمى تُغْيِرُك يا بنية وابعثنى منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى عام ، ولكن بالقُبل
إن ساعفتني ليلة فدعى العهود إلى أجل

عام تفتُّح بالرجاء ء وبالرجاء ختمته
ودَّعتُ ذاك العام في قربي كما استقبلته
قولي ، وقد ولَّى ، أفى شرع الوفاء قضيته ؟

لا تخدعيني يا بنية بالوفاء من اللسان
خُنَّا وخُنْتُ ولا أقو ل سلى فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معًا والآن نحن الباقيان

ذهبت خيانتنا كما ذهب الوفاء ومن يَفُون
لا ذمَّةُ تبقى ولا يبقى الوفى ولا الخوون
كم ذمة ضيعتها يا عام فى تلك الغضون !

انظر أَلست ترى فتا تى حيث كنتُ ضمنتها
فى جلسة الأمس التى حتى الصباح جلستها
فكأنها مافارقت صدرى ولا فارقتها

وإذا سألتَ وربما جاء السؤال بلا كلام :
«ماذا تقول مودعى والليل يومى بالسلام»
حيرتنى يا عام فاستم مع الجواب ولا ملام

ما كنت عندى أيّ هذا العام كُلُّكَ بالسعيد
لكن سويحات مضت لى فيك تُتسى ألفَ عيد
غفرت ذنوبك كلها وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى أعطت ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها وقليلها أبداً كثير
إن عاد يوم غد كأم س فدر زمانُ كما تدور

* * *

وعام ثالث !

... والثالث الموصول أق بل مرحباً بالثالث
رَحُبْتُ منه بمقبل إقبال لاه عابث
ما كان يكرثنا (١) شقا قالم يعد بالكارث

* * *

رضنا الغرام رياضة الـ فرس العصي فأذعنا
لا جامحاً قلقاً ولا تعباً يثن من الونى (٢)
أنعم بذلك مركباً بين العواثر لينا

* * *

(٢) الفتور .

(١) يهمننا ويشغل بالننا .

ما للغرام يسومنا بنعيمه وشقائه
إنا لمغتنمو جهن مه اغتنام سمائه
لسنا على يده يجو دلنا بمحض سخائه

ما شب من نار طبخ لنا فوقها حلوى الهوى
أو صب من غيث غمس لنا فيه آلام الجوى
أو زف من ريح وهبنا ها الشراع كما استوى

أهلاً بعام ثالث يتلوه عام رابع
بل خامس فيما عهد ت وسادس أو سابع
ما ضاقت الدنيا وفي جنبك قلب واسع

قلب تفتح بعد ما استعصى بباب واحد
أو قل تشقق بالجر اح فلم يضق بالوارد
ما حيلة الأعوام فى غير الزمان الفاسد

يا قلب إنك قد أرد ت فأين ويحك ما تريد؟
عام سعيد! إى ور بك... قل إذن عام سعيد
هيك اعتزلت سروره أتراه ينقص أو يزيد؟

بعد سنة

سنة مسرت ولا كل السنين

بين صيف من هوانا وشتاء
وربيع كلما غمام أضاء
والضحى والليل حيناً بعد حين

سنة كان لها نجم فريد

غمر الشمس وغطى القمر
ومشى فى حسنه منتصرا
كلّ برج تحته برج سعيد

إن يكن لى فى سنه رقباء

فبالذى أرصده لم يرصدوه
والذى أنشده لم ينشده

والذى هاموا به عندى هباء

سنة مسرت على روض الغرام

أنبتت فيه فنون الشجر
من رياحين وغرس مثمر

وسل الأرواح ما أذكى الطعام !

يومنها الأول وافى ودنا

فانس أيامك فى ساعاته

واجمع الصافى من لذاته

جرعة ، واطرب عليها زما

جرعة نجم فيها سكر عام

إن شربناها فقد تشربنا

أو سكبناها فقد تسكبنا

فى الهوى روحين فى كأس وِثام

هات لى الذكرى وقرب لى العيان

فهما يا صاحبى بين يديّ

حضر الساعة يا صاح لى

ربة الذكرى وذكرها قران

هات لى الذكرى أراها وترانى

غضبة ملموسة فى راحتى

حلوة معسولة فى شفتى

جنة تنبت فى كل أوان

جنتى لا حَيَّةٌ تخرجنى
أبدًا منها ولا أحياءها
لا ولا إبليس أو حواءها
أنا فيها خالد كالزمن

أنا منها وهى منى فى الضمير
فإذا فارقتها بالنظر
لم يفارقها ضميرى غمري
وله العصمة من مس السعير

سنة كان لها نجم فريد
هات منها أيها النجم وهات
سنة ثانية بل سنوات
ولنا منك مزيد المستزيد

أنت يا نجم معيد ما تشاء
لا السماوات ولا داراتها
غنية عنك ولا أوقاتها
أنت ميقات وشمس وسماء

أنت تدنيها سماء زلفا (١)

تنسج الوقت لنا منفردين
لا مشاعاً كنسج النيرين

بل لنا طوع يدينا وكفى

المرأة والخداع

نحلّ الملام فليس يثنيها ،	... حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ،	وررياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيما تكيد به	من يصطفئها أو يعاديه
وهو انتقام الضعف ينقذها	من طول ذل بات يشقيها
أنت الملموم إذا أردت لها	ما لم يُرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبداً	تخلص إلى أغلى غواليها

رواية

ما غرني إقناعها	كلا ولا إمتاعها
ماذا تخبي طفلة	رقت ورق قناعها
بل غرني علم الطب	ع ، وللنفوس طباعها

(١) الزلف : التقدم والتقرب .

أوليس علماً بالحيا	ة يهون فيه صراعها
إنى أشاهد كيف يف	طم فى القلوب رضاعها
أو كيف يسرى فى النفو	س الواعيات خداعها
أو كيف ينهض بعد طو	ل سباته دقاعها (١)
أو كيف يومض بعدما	خفت السراج شعاعها
دعنى فستلك رواية	شامت وشاق سماعها
ألمى الوجيز رقاعها	إن قيل أين رقاعها ؟
وأنا العليم ، وقد علم	ت ، متى يكون وداعها

* * *

لغيرك !

لغيرك غفران تلك الخطايا	وغض الجفون وستر الخفايا
لغيرك ، لا لك ، صبرى على	مساوى يُحسنَ عندى مزايا
لمن أرسلتكَ ، ومن جملة	لك ، ومن حبها كامنٌ فى حشايا
ألست رسولَ الحياة الأمل	ين بأسنى الهبات وأعلى الهدايا
فهاهى الرسالة واستغنى	ثنائى ، ولا تعجبنى من هوايا
إذا الرسل أفضت بما عندها	فما حيلتى فى اختلاف الوصايا
سواء لدينا بريد الوجو	ه ، إذا حسنت ، أو بريد الطوايا

* * *

(١) الدِّفاع : قوة الموج وكل مدفع .

ماذا استفدتُ؟

برئت من غش نفسي ولا أقول انتبهتُ
قد كنت ساهر عين مستيقظاً ما غفوتُ

برئت من غش نفسي وليتني ما برئت
ما العمر محض نهار! في العمر للغمض وقت

ها أنت يا عين يقظي وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمرى وما عساني استفدت؟!

تربصى

إذا احتواك قفصى

سرى الفتور فى جنا حيك وإن لم تنقصى
وغرّد الطير وضاً عت فى الغناء فرصى

وخفت فى سجنك ألا ترقصى

وإن ملكت الأفقا
حيّرني رجب الفضيا ء مهبطاً ومُرتقى
وأوشك الصدر لفرط الضيق ألا يخفقا
وطار في إثرك لبي قلعا

تربصى . تربصى !
ما حيلتى؟ ما مهزّ بي؟ ما مخلصى؟
الموت قناص الأبـا بيل وحلال العصي
يقنصنى ويحك إن لم تنقصى

فهمان

لما نفست بما أغـا لى فى هواك وأظنـب
لم تفهمى منى سوى أن النفائس تُطلب
وفهمت من نزغات طبـ عك ، والطبائع تغلب
أن النفائس كلما عزت ، تراد ، فتوهب !
فرخصت من فرط الغلو وخبت فيما أحسب
وخسرت فيك خسارتين ، وخلت أنى أكسب

كيف ؟

تحفة من بدائع الله تحمى كنزها كف طفلة لا تقرر
كيف لى بادخاره فى يديها ؟ كيف لى باحتقاره وهو ذخر

مصيبتان

قالوا اسألها ودع البكاء فإنها فى حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتى فيها اثنتان لأننى أبكى لمن لا يستحق بكائى
من كان يبكى الأوفياء فى الأسى لمن استحق أساء بعض عزاء

ندم !

عشتك مكذباً خلقى ورأيت وعفتك صادقاً لهما أمينا
وما أخطأت فى لؤميك يوماً وقد أخطأت فى عُذريك حيناً

حلم الأبد

أهواك جسماً علا وانفرد وفتنة حسنك هذا الجسد

وما فيه من نزوة لا تحد ؟

بُنية كوني كما قد خلقت فأنت كما شاءك الله أنت

وما شئتة أنا حلم الأبد

عيوبك

عيوبك لم أحفل بها قبل فتنى وهيئات يُثنى العيبُ نظرةً مفتون
فيا بؤس للعشاق لاعلمهم حمى ولا جهلهم إذ يجهلون بأمون

* * *

مساومة

ما حيلتى إن جهلتُ حسنُها فسَلَّمتُ بالبئس للمشتري
لو كنت فى جهلها بعتُها ببعض ما هان على المزدري
إنى على إغلائها فى الهوى أَرْبَحُ فى الصفقة من منكرى^(١)
ليس الذى يَقْدِر ما ناله كمن إذا أُعْطِيَ لم يَقْدِر^(٢)

* * *

الذات والويلات

غداً تنسين لذاتٍ بلا عَدَّ ولذات
ولا تنسين ويلاتى ولا زجرى وإعناتى
فما فى تيك من حبك بعض الحب فى هاتى
وهيئات الهوى الطاغى من العابث هيئات

* * *

(١) أربح : أى أكثر ربحاً .

(٢) قَدَرَ الشئ يَقْدِرُهُ ، أى عرف له قيمته .

عجائب القلب

تلك التي كنت أغليها وأذكرها صبحاً ومُشياً وفي سر وإعلان
قد كنت أرحم نفسي من تذكُّرها فاليوم أرحمها من فرط نسياني
عجائب القلب ، ويلي من عجائبه! عزت نظائرها في العالم الفاني

عدنا والتقينا

التقينا

والتقينا !

عجباً كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعد ما فرَّق قطران وجيشان يدنا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا (١)

* * *

بعد عصر !

أى عصر ؟

والنوى تجرى وسر الحب فى الأكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر
قضى الأمر كما شاء ، وعدنا فالتقينا

* * *

(١) كان صاحب الديوان قد سافر إلى السودان على أثر هجوم الألمان والطلليان على حدود مصر الغربية فى شهر يونية سنة ١٩٤٢ ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما ، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه فى القصيدة .

كم بكيت
واشتكيت
ثم ألهمت على الغيب فأصغينا وقلت
قلت في السابع والعاشر من شهر سيأتي
ها هنا سوف تراني ، فرأينا والتقينا

* * *

يوم ذكرى
ذاك أخرى
بالتقاء كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تعب الشعري وتدني كل شعري
كيف يلقانا وحيدين غد في التقينا

* * *

قبل عام
ثم عام
كان يوم ، أي يوم ، في صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد اللوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

* * *

وتداني
وكلانا
زائغ الطرف يناجي الأفق قلبا ولسانا
ثم ماذا ؟ ثم كن يا بُعد لي قريبا ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفاً فالتقينا

كم غرام
وسقام
عرفنا الحلف على غير سلام ووثام
فإذا ما اجتمعنا فانتزعاني من مقامي
فبحسبي منهما أنا شكونا فالتقينا

يا فتاتي
يا حياتي
لا تراعي بعد هذا من فراق أو فوات
قدّر الله كفيل لك في ماض وأت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

نذر مقبول

أرأيت حين نذرت ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذي لباك ؟ من ذا أجاب مناك ؟
قديسة عطفت على المكنون من نجواك
ووعدها فوفيت

قديسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يلوم هواك من ذا إذن يلحاك
والعذر عذر صبايتي والحق حق صباك
كذبوا إذن وصدقت

بالشمع كم أغريتها أترك أنت خدعتها ؟
كلا وما أقواك فى خدعة وشباك
فالنور لب غذائها والنور صفو رضاك
شغفت به وشغفت

من الأستاذ عماد (١)

يا حزين النفس أعطيت مناها فاغنم الفرصة حتى منتهاها
لا تنغصها اختباراً واكتناها إن من خاف من الجن يراها

النوى آتية لا شك يوماً وهى من حولكما لم تأل حوما
همّها ألا يدوم الصفو دوماً فعلى رسلك لا تُعجل خطاها

لا تقل يا وردتى شوكتك أينما ما علينا منه فيها ، ما علينا ؟
إنها أخفته عنا فانتبهينا حسبنا الوردة رفّت فى نداها

ليس شك أن للوردة شوكا وإذا أدنيت كفاً منه شكاً
فأحبك القفاز فى كفيك حبكا واخلس الوردة واستغرق شذاها

(١) هو صديقنا الشاعر المجيد : الأستاذ محمود عماد .

أنت فى الجنة أُلقيت يقينا فدع الشك أو استمهله حيناً
إنه الشيطان قد أخفى القرونا إنه الحية فاحذر من أذاها

لا تسلمها يوم تأتى أين كنت ؟ فبحسب العين أن الحسن يأتى
ذاك وقت فيه يفنى كل وقت ساعة دقت ، وغابت عقرباها

ساعة دقت فأدت ما عليها فعرفت الوقت لم تنظر إليها
ما الذى تطلبه من عقربها إن تغيبا خلف ستر قد حماها ؟

قُلْتَ أنساها بأخرى حين تُغرى أترى أخراك لا تطلب أخرى ؟
من يقول الجمر قد يطفى جمرا اللظى من غيرها مثل لظاها !

إنها منك دنت فلتدن منها وإذا خانتك من بعد فخنها
أو فجرُّب هل تطيق الصبر عنها ؟

لا . وشمس الحسن فيها ، وضحاها ! (١)

غصت فى اللجة حتى أذنيكا وحزام العوم لم يلق إليكا
رحمة الحسن إذن تثرى عليك رحمة إن شاءها الحسن قضاها

(١) الواو هنا للقسم لا للعطف .

وإذا شاء فلا رحمة تقضى ودعا بعضك نحو القاع بعضا
تبتغى من تحت هذى الأرض أرضاً
لا . فدنيا الحب لا دنيا سواها
محمود عماد

إلى الأستاذ عماد

يا صديق النفس من عهد صباها
نصحك الصادق لو تُشفى ، شفاها (١)
محنةً تبلغ فى يوم مداها ما ترانى صانعاً ، أو ما تراها ؟

ناصحى أنت بزهرى أنتشيه لا أبالى الشوك والغصة فيه
كل شوك يا صديقى أتقيه يخرق الدرع وإن دقت عراها

وردتى يا صاحبى فى الورد بدع! بدعها طبع ، وكل الورد طبع
طبعها كالنفخ ينهاك ويدعو وبلاء النفس فى مس جناها

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها!

(١) أى أن نصحك قمين أن يشفى النفس لو أنها تقبل الشفاء .

وردتني آفتها فرط التحدي جاوزت في كل شيء كل حد
حسنها هيهات منه حسن ورد شوكتها أنفذ من شوك سواها

أتراني نافعي والقلب دام وسعار الجرح يمشي في عظامي
لذة العين بوشى ونظام وامتلاء الأنف من عطر شذاها

أه من برئى وأه من سقامي أه من صلحي ، وأه من خصامي
أه من شمسي ، وأه من ظلامي أه من لذعة أه في جواها

لذعة النيران ينفثن دخاناً ليضئء اللهب الخافي عيانا
لهباً صرفاً تعالى وتداني من قرار النفس يرتاد ذراها

أه من آه لحاها الله جداً لا تزل خالدة في النار خلدا
من قلوب تتلظى حباً وحقدًا حرقت آهاتها آها فآها

أنا لا أطلقها حتى تذوبا في لظاها ، كلما شبت شبوبا
وأراني يا صديقي لن أتوبا فإذا تابت عرفنا منتهاها

طلاء نفس

زرقة عينيك لا صفاءً فيها ، ولكنه فضاء !
حمرة خديك لا حياء ، فيها ، ولكنه اشتهاا !
قوامك الرمح لا اعتدال فيه ، ولكنه اعتداء !
يا حيرة القلب فى هواه ! يا غاية العمر فى مناه
وجهك سبحان من جللاه ولوّث النفس بالطلاء !

* * *

حبك لا نعمة أراها فيه ، ولكنه جزاء
من فى الصبا جرت فى هواها !
من تلك مقبولة الدعاء ؟
أنت عقابى فهل كفاها برح شقائى أولاً اكتفاء ؟
يا جنة حسنهاب يا خمرة عذباب
متى متى ينطوى الكتاب ؟
متى فراق بلا لقاء !

* * *

بنيته

بنيته ، والعزم صخرى المتين ومعولى حدّ العذاب السنين
اسمع . ألا تسمع هذا الرنين هذا فتات القلب . هذا أنين
فى كل ركن قطعة من وتين (١)

(١) عرق فى القلب .

بنيته فى حفرة من شقاء والدم والدمع عليه طلاء
هناك ، فى زاويةٍ ، فى الخفاء تم بحمد الله ، تم البناء !
ماذا بقى ؟ لم يبق إلا الدفين !

بنيته . يا حسنه ! يا سناه ! بنيته : قبر الهوى فى صباه
قبر الهوى الغالى وواحسرتاه ! قبر الهوى الذاهب فى منتهاه
هل بعد «خمسین» هوى يا حزين ؟

هاتوا الدفين الغض . هاتوا الأمل هاتوه أذى جسمه بالقبل
أدميه ؟ لا . لا دم بعد الأجل جفّ وما جفت عليه المقل
هاتوه أحييه بذكرى السنين

دفنته ، ويحك ! هل تستريح ؟ يا خارب القلب عمرت الضريح !
ذاك الثرى المنهال . ذاك الصفيح يا ليتته ركن الخراب الفسيح
أوليتك الساعة فيه الدفين

أه من الحـيـرة أه وأه أنافع قلبى ، رُجـعـى هواه ؟
ولو خلا القبر ، أهذا مناه ؟ ... لو أقفر الساعة بما حواه
خلت من الحيرة أنى الغبين

هنت والله

هَوْنْتُ خَطْبَكَ جَدًّا وَخِلْتُهُ لَنْ يَهْوَنَا
حَمْدًا لَكِيذِكَ حَمْدًا ... حَمْدًا يُفِيضُ الْعَيُونَا
يَدَّلْتُ بِالنَّارِ بَرْدًا وَبِالْهَيْيَامِ سَكُونَا

إِنِّي أَمَنْتُ الْفِتْنُونَا
وَأَنْتَ مِمَّاذَا أَمَنْتَ ؟
قَدْ هَنْتِ وَاللَّهِ هَنْتِ !

كَمْ دَارَ فِي الْكَوْنِ رَأْسِي حَيْرَانٌ يَطْوِي بَقَاعَهُ
شَكِي يَسْأَلُ خَدْسِي أَيْنَ اخْتَفَتِ مِنْذُ سَاعَةٍ ؟
سَفِينَتِي الْيَوْمَ تُرْسِي وَالرَّكْبُ يَطْوِي شَرَاعَهُ

غَيْبِي بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ
مَا أَنْتَ وَيْحَكَ أَنْتَ (١)
قَدْ هَنْتِ وَاللَّهِ هَنْتِ

لَوْ قِيلَ «بَنْتُ الْهَوَاءَ» صَدَّقَتْهُمْ فِي الْمَقَالِ
وَرَثْتَهُ فِي السَّخَاءِ وَفِي شَيْيَعِ النُّوَالِ
لَوْ كَانَ فَيْكَ بِقَائِي لَمْ تَخْطُرِي لِي بِبِئَالِ

مَنْ بِالْهَوَاءِ يَبْأَلِي
كُونِي إِذْنِ حَيْثُ كُنْتُ
قَدْ هَنْتِ وَاللَّهِ هَنْتِ

(١) « ما » هنا للنفي .

خذي عشيقين مثلي لا بل خذي الناس طرا
يلقـاك هذا بليل وذاك يلـقـاك ظهرا
إن تخـدعني ربّ نبلٍ يخـدعك نـذلانٌ مـكـرا

وتشربى الجـام مُـرا
حتى يُقالَ جُنُنتِ
فـسـد هنت واللّه هنت

يا فرحة القلب لما رخصت بعد غلاء
خسري بذلك تما وتم منك نجـائى
ولو حسبتك غنما لـطال فيك شـقـائى

وغصّ قلبى بدائى
لكن رحمت فـخـنت
وهنت واللّه هنت

فراغ . فراغ

فـراغ بارد شـات بلا ماض ولا آت^(١)
أمـسـوات ؟ نعم لكن نحس فناء أمـسـوات
ويا بؤس الفناء نحسه فى كل ميقات

(١) شات : اسم فاعل من شتا يشتو ، أى دخل فى الشتاء .

فى مصر غيث الصحراء

ألقىت هذه القصيدة بين يدى صاحب الجلالة الملك «فاروق الأول» فى رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨) وكان صاحب الديوان يمثل دائرة الصحراء بمجلس النواب .

* * *

يا حادى البشرى دنا السفر ناد القبائل حيثما انتشروا
فاروق فى البیداء يصحبها ... تيهوا بنى البیداء وافتخروا
رَفَعَ الخيام على السحاب فلا أسس تطاولها ولا جدر

* * *

فى طالع الأيام مرتقب ولسابغ الإنعام مدخر
كالغيث لولا سبق أنعمه والغيث يلحق بعده الثمر
كالنيل لولا أن موسمه فى كل يوم حاضر نضر
صلح الزمان لكم بمقدمه وازدانت الأصال^(١) والبكر
فاستبشروا بالخصب أجمعه لا جذب حيث النيل والمطر

* * *

أحببتموه على السماع كما شاء الولاء ، وشاعت السير
وتشوّف الوادى لرؤيته وتساءل الركبان ، وانتظروا
وتجاوبت فيكم مدائحهم نظماً رواه البدو والحضر
والعرب أصدق ما سمعت إذا غنوا على البیداء أو شعروا
فالآن فاكتحلوا بطلعته وتيمنوا باليمن وابتدروا

(١) جمع أصيل ، وهو قبيل وقت الغروب .

ملكٌ تعالى الله بارئهُ سيان فيه السمع والبصر
لم يختلف قول ولا عمل منه ، ولا خُبْرٌ ولا خَبَر

ملك تعالى الله بارئهُ بالخير يأمرنا ويأمر
مستعصمٌ بالله معتزم مستمسك بالحق مقتدر
سبق الشبابُ به مراحلنا وأعانهُ الإلهام والنظر
وتفِيَّأت بلوائهُ عُصب وتألّفت بفنائه زمر^(١)
نعم الإمامة للشباب فلا يأس ولا نكس ولا حذر
جيلٌ لزين الجيل أسلمه رب الكنانة ، فهو منتصر
العزم والشورى إذا اجتمعا فهما قضاء الله والقدر

يا مؤمناً بالله مهتدياً بك مسجد «العوام» مشتهر
يا نسج وحدك فى مآثره بيديك زين القطن والوبر^(٢)
يا جاعل الملح الأجاج روى^(٣) بيديك طاب الملح والصُّبر
يا شافى المرضى وكافلهم عيسى على كفيك مستتر
يا حصن مصرَ ويا دعامتها أقوى الدفاع مِراسُك العسر
يا شاهد التاريخ فى أثر العين أنت ، وما مضى أثر
ما كان منسياً فشهرته بك بعد هذا اليوم ينتشر

(١) أى استظلت برايته جماعات .

(٢) أى أنك زنت القطن والوبر ، كناية عن الوادى والصحراء .

(٣) الروى هو الماء الغزير المروى . ومن المنشآت التى افتتحها صاحب الجلالة فى مرسى مطروح منشأة تصفى ماء البحر من الملح فيصلح للشرب ، والبيت يشير إلى هذه المنشأة ، كما تشير الأبيات الأخرى إلى المعامل والمساجد ومعامل النسيج التى افتتحها جلالته فى هذه الرحلة ، والآثار التى زارها .

إني إلى الصحراء ملتفت
أصغى فأسمع في جوانبها
آلاء فساروق يرددها
تنمو وتزهر حيث لا شجر
يهفو النزيل لها وينشدها
قوم سماء الله فوقهم
إن يذكروا بالحمد راعيهم
هم في صراحة أرضهم نشأوا
بلغاء ما عرفوا السطور على
حرماتهم الأيام فاصطبروا
فاروق قبلتُهُم إذا رحلوا
يا ملبسًا أجسادهم حللا

وعلى قم الصحراء منتظر
هزجًا يشيع بها ، وينحصر
نفر ، وينصت حولها نفر
ينمو ، وحيث نما بها الشجر
سارون فوق جمالهم سهروا
وملوكتهم لسماثهم صور
فهم الرعاية ، وهكذا فطروا
وعلى هدى لآلائها ظهرها
غير الرمال ، وعاش ما سطورا
ومتى أصابوا نعمة شكروا
واليه موثلهم إذا حضروا
شرقت أنفسهم بما ادثروا

الملك والآفاق والقمر
أمدت تفوت العين غايته
هي رحلة طالت مفاخرها
لو فرقت في الدهر لاتسعت
في ساحة الفاروق يملأها
تنقاد طائفة وسابحة

والبحر والبيداء والذكر
وتموج في أنحائه الفكر
ويعبد في أيامها قصر
لشعابها الأحقاب والعصر
ذخر الحياة ، ويحجم الخطر
ويطيب منها الورد والصدر^(١)

(١) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة ، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة .

تمثال سعد

نظمت تحية لتمثالي زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار عنهما بالقاهرة والإسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٣٨) .

الروح فى وادى الكنانة حائم	وجلال شخصك فى النواظر قائم
ما غاب منك سوى مثال عارض	يمضى ، ويخلفه المثال الدائم
ملك البلاد المستقل وشعبها	فى محفليك مساهم ومساهم
أملٌ لعمرِكَ لم تطاوله المنى	شرفاً ، وحلم ما رآه الخالم
تزهى به مصر ويزهى الشرق من	كتب ، ويعجب من صدهاء العالم

فاروق مولده ومولد نهضة	تنمى إليك ، كلاهما متلازم
فإذا أظلك عرشه وجلاله	فالعادل قسمته ، ونعم القاسم
شيمٌ من الخطاب جمع شملها	العادل الفطن الكريم الحازم
من غير فاروق يصور أمة	أنت الزعيم لها ، وأنت الخادم
من غير فاروق يبارك نهضة	منه الرجاء لها ومنه العاصم
من غير فاروق يقلد رتبة	والصو لجان بكفه والخاتم
من غير فاروق يجل رعية	حوليه سابق مجدها والقادم
من غير فاروق تنص يمينه (١)	علمًا للاستقلال فيه علائم
حيالك أو أحيا رجاءك عاهل	عهد البلاد به جديد باسم
ملك كما ترجو لمصر مصدق	بشراك ، مرتسم لما هو راسم
غمر البلاد بحبه وولائه	فولاؤه فرضٌ عليها لازم

(١) تنص : أى ترفع .

ركنان للوطنية المثلى هما
فاهناً بما بُلغت من حبيهما
عرشٌ ، وشعب حوله يتزاحم
واغنم ولاءهما فأنت الغانم

تمثالٌ سعد في الجزيرة ساهراً
النيل حولك لا يغيب هنيهة
شأن لربك في الحياة حكيته
كم صام سعد عن مناهل حوضه
كم بات يرعاه ، وليس بُمَرَّع
كم غاب عنه ولم يغب عن همه
بك زادت الأهرام ركنًا والتقت
تلك الصروح على اختلاف بنائها
نهضت على استقلال مصر دلائلا
اليوم أن لجاني تاريخها
في الضفة الأخرى بقية عسكر
مصر تضيق ، على اتساع رحابها
لم تستقر على دعامك آخرًا
والنصر ردك للعدو مواليا
سعد على النيل الوفي ومثله
ما أعجب الصنوين للفرد الذي
أمجاور الميناء إنك لم تنزل
متمكنًا من حيث يُقبلُ قادم
نعم اختيار الموقفين لحارس

هيهات يغفل منك لحظ صارم
عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
فالظل للغضن الوريث موائم
ويعب مغتصب وينهل غاشم
من خير ما يرتعيه الحاكم
والبحر دون طريقه متلاطم
منها على بعد الزمان دعائم
في الجزيرة الفيحاء هن توائم
يغيا بنقض بنائهن الهادم
ألا يظلهما دخيل داهم
قاومتهم جهد المطيق وقاوموا
بكما فأيكما المقيم القائم ؟
إلا لأنك بانتظارك جازم
لا أنت راغمه ولا هو راغم
سعد على البحر القوى متاخم
أغيا بصنويه المدى المتقادم
ميناء مصر ، والخطوب خضارم
كرمت وفادته ، ويمنع قاحم
وطنًا يحارب دونه ويسالم

يا سعد هلا من لسانك قولة
يمناك تومئ بالكلام فأين من
عجبي لشيء فيه منك ملامح
عجبي لشيء فيه منك ملامح
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة
وتشابها ثم الأسارير التي
وتحجبت تلك الأفانين التي
إن لم تصورها اليدان فرجما
إن لا تحدثنا فكل محدث
أو لا يكن لفظ فدون الوحي من
الناس حولك سامع أو ذاكر
قف فوق منبرك الجديد فلم يزل
يصغى إليه العابرون فيقتدى
هذا المثال الحي إمام حامد
هذا المثال مؤيد من ثابروا
خصم لكل مخالف آراءه
جدد لهاتيك الرؤوس حياتها ،
ما كان تمثالا يماط ستاره
بل تلك جامعة يؤم دروسها
تلك الرياح مجاذبات غطائه
فاروق أو مزجي الرياح كلاهما
والغيب يلهمه المليك إذا اتقى

يروى بها هذا الزحام الهائم ؟
إيمائها الصوت القوى الناعم ؟
أن ليس يسمع منه قول حاسم !
أن ليس يخفق فيه قلب عالم !
والصخر بأسا يتقيه الصادم
قد شابها بك بمثابة ضياغم
ضاق الصنّاع بها وعى الراسم
خفيت فصورها الضمير الراقم
من فيض روحك ناثر أو ناظم
معناك - كل اللافتين أعاجم
ما كنت توشك أن تقول ، وفاهم
لك منبر عالي الذرى وقوائم
داع إلى الحسنى ويخجل آثم
للعاملين غدا ، وإما لائم
مُزّر بمن قصّروا الخطى وتناوموا
وفعّاله وهو القوى الخاصم^(١)
بعض الرؤوس وإن حين جماجم
بل منسكا للحج فيه محارم
متعلم سنن الحياة وعالم
رسل من العرش العلى حوائم^(٢)
للغيب ، من خلف الحجاب ، تراجم
ويفضّ من فحواه ما هو كاتم

(١) الخاصم : الذي يتغلب على خصمه فى الخصومات .

(٢) قبل رفع الستار بأيام جذبته الريح فانكشف ، فتفاءل بذلك الذين أشفقوا من تأخير
الاحتفال برفع الستار .

يا أسبق الأعلام ربك سابق في حيثما استبقت بمصر عظام
ما قام للفلاح قبل مثاله علم ، ولا دُعيتُ إليه معالم
صعدوا على أكتافه وتسنموا أوج المنابر وهو جاث جاثم
فاليوم يبتدئ الزمان بخلقه حتى كأنك أنت فيهم آدم
شرقاً أبا الفلاح ما استفتحت من همم ، وما استتلى بعزمك عازم

لك لا تزال ولن تزال رسالة ما للعظام إن بدأن خواتم

ثناء على ماهر

ثناء الكرام على ماهر (١) ثناء على الرجل القادر
على رجل زاهد في الثنا إلا من الأثر العاظم
على من يسير بأعماله فيقبل في جحفل زاهر
ومن كل أيامه صالحا ت لحفل بتكرمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفى ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائح الصادقا ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ونظم المقرظ والشاكر

بياناته مثل أرقامه حقائق للحاسب الحاضر
وأراؤه في ثنايا غدد كرؤية عينيه للحاضر

(١) من قصيدة في تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩) .

وباطنه فى مواعيده	كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق فى بأسه	تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمّن للعدى	وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء القرو	ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب	فليس يوان ولا قاصر

أولى الأمر طوبى لكم يومكم	وطوبى لكم ذكّرة الذاكِر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا	بها نهج مبتكر باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا	مدى الحمد من وطن قادر
لكم من بنيه ومن عرشه	معاونة العارف العاذر

عيد الجهاد

«١٣ نوفمبر ١٩٤٠»

حُيِّيتَ يا عيد الجهاد	حييت يا يوم المعاد
يا يوم مصّر ومالها	من ناصرين ، ولا عتاد
عزلاء إلا من سلا	حيها : الرجاء والاتحاد
بهما تصد الظافر	ين ولا تُصد ولا تُصاد
وتقود أشيتات الصعا	ب ولا يلين لها قياد
وتعانِد الأسَد الهصو	ر ولا يطاق له عناد
تلقيها يوم تزلزلت	من بأسه السبع الشداد
والأرض بين يديه طيّ	عنة الأعنة والوهاد

حُيِّيتَ يَا يَوْمَ الْجَهَا
كَلًّا . وَلَا مِنْ قَسَائِلِ
جَمَعْتَ بِلَادَ أَمْرَهَا
وَأَرَادَ سَعْدَ فَنَابِرِي
مَا السِّيفُ فِي الْيَدِ غَالِبًا
دَوْلَا سُؤَالَ يَمَ الْجَهَادِ ؟
أَيْنَ الْجَحَافِلُ وَالْجِيَادِ ؟
وَكَفَى بِمَا جَمَعْتَ بِلَادِ
وَطْنٌ يَحْقُقُ مَسَا أَرَادِ
إِلَّا إِذَا غَلَبَ الْفُسُؤَادُ (١)

حَيِّيتَ يَا يَوْمَ الْجَهَادِ
يَوْمَ الْكِرَامَةِ وَالْجِلَالِ
كَمْ عَاقِلٌ فِي الْاِقْتِحَا
وَمَحْصُلٌ فِيمَا أَضَا
يَوْمَ الْجُهُودِ وَالْاجْتِهَادِ
دَبْلُ ، السَّلَامَةِ وَالسَّدَادِ
مَوْجَاهِلٌ فِي الْارْتِدَادِ
ع ، مُضَيِّعٌ فِيمَا اسْتِفَادِ (٢)

وطني سلمت من الغُورَا
مَا فِي الْجَهَادِ غَوَايَا
وطني خَذَلْتَ الْخَادَعَا
مَا فِي الصُّعَابِ خَدِيعَا
وطني تبينت المصَا
مَا فِي اللَّهْيِبِ خَبِيبَا
وطني فررت من الهِوَا
مَا كُلَّ خُطْبٍ يُثْقَى
وطني . وَمَا وَطْنِي عَلَى
يَا لَيْسَتْهُ مَا يَهُو
ة وَلَا سَلِمْتَ مِنَ الرُّشَادِ
إِنَّ الْغَوَايَا فِي الرُّقَادِ
يُنْ وَلَا خَذَلْتَ ذَوِي اعْتِقَادِ
إِنَّ الْخَدِيعَةَ فِي الْمَهَادِ
رِيحَ وَالْمُدَاجِي فِي الْوُدَادِ
إِنَّ الْخَبِيبَةَ فِي الرَّمَادِ
ن وَلَا فَرَرْتَ مِنَ الْجِلَادِ
أَوْ كُلَّ أَمْنٍ يَسْتَزَادِ
بِهَيِّنٍ بَيْنَ الْبِلَادِ
ن فَاسْتَرِيحَ «عَلَى الْحِيَادِ» !

(١) مَا هُنَا تَعْمِيلُ عَمَلِ «لَيْسَ» وَتَوَدَّى مَعْنَاهَا .

(٢) أَيْ : كَثِيرًا مَا يَكُونُ الْاِقْتِحَامُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَالْارْتِدَادُ مِنَ الْجَهْلِ ، وَالْكَسْبُ فِي الْإِتْفَاقِ وَالْخُسَارَا فِي الْاِكْتِنَازِ وَعَدَمِ النِّفْقَةِ .

حاشا لمصر ولى وللسا دات فيهما والسواد
لانى نذرت لهما دمي ومنى يضمن بهما الجواد
وشرعت فى ميذاتها قلمي وإن تفقد المداد
وعلمت أن لهما غداً يُرجى ، وأمس يستعداد

شبان مصر تزودوا لغد ، وبعد غد ، بزاد
أنتم حمأة عرينها ولكم معاقلة تشاد
إن زاد غيركم العدا فرداً فلا كان الذياد
أو سُدُّتُمْ فى أمة ذلت ففرحتها حداد
من ذا يسود وحوله وطن على ضميم يساد
لا يَخْجَلَنَّ غداً إذا ما حلّ من عيد الجهاد

إلى مهرجان السودان

يا جيرة المورد فى الوادى كونوا هناكم مورد الصادى
صناد إلى الماء وصناد إلى علم لمن يطلبه هاد
هاد كما قد أسفرت شمسكم بساطع فى الجو وقاد
لولا معاذيرى لحياكم منى مُطيف رائح غاد
فإن أكن أوفدت شعري لكم فذاك عندى خير إيفاد
إلى اللقاء المرتجى فى غد تحييتى للحفل والنادى^(١)

(١) هذه الأبيات هى تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذى يقيمه أدباء السودان مرة فى كل عام .

فى عالم الذكرى

ثلاث عشرة حجة (١)

مـررت بنا الأيام وثبنا	سلمًا كما شاءت وحربا
لا أحسنت حربا ، ولا	فى السلم طاب السلم غبًا (٢)
ضمنت لجيشيها معًا	غصبًا كما اشتها وغلبا
فإذا الحوادث أقبلت	أو أدبرت فالخلق نُهبى
العام من أعواننا	يحوى - جزاه الله - حقبا
وثلاث عشرة حجة	قلبت طباق الأرض قلبا
سلها عن الدنيا وما	صنعت بها شرقًا وغربًا
سلها عن الوادى وما	صنعت به دفعًا وجذبًا
لا ضير بالماضى إذا	دار الزمان فطاب عُقبى

فألاً من الذكرى وكم	فأل طوى فى الغيب حُجبًا
وهداية منها وقد	تهديك فى الظلماء قطبا (٣)

يا سعدُ يومك فاستجب	قلبًا لمن يدعوك قلبا
جرّد عزيمتك التى	أغنت عن الصمصام غربا (٤)
وابعث نصيحتك التى	أغنت عن الترياق طبًا

(١) أقيمت من محطة الإذاعة المصرية فى ذكرى وفاة سعد ، سنة ١٩٤٠ .

(٢) الغب العاقبة .

(٣) إشارة إلى نجم القطب الذى يهذى فى الظلام . (٤) حدا .

وانشـر فرائدك التى	أغنت عن العقيان كسبا
هذا نذير الشر هببا	والى حمى مصر اشرا بيا
وسرت إلى إفريقيـا	عدوى الجهالة من أوربا
طمعوا بحوزة أمة	ظنوا لها الغفلات دأبا
إن قليل لا خطر غفت	عيننا وتاهت عنه لبـا
أو قليل لا طمع فلا	طمع وقرت مصر سربا
أو قليل يا أم انهضى	نهضت وراحت مصر تأبى
تجـرى المخاوف حولها	وتخاله الأمن استتبـا

* * *

ياسعد أنت إمامها	فاهتف بها ملا وشعبا
صدع الشقاق صفوفها	وجمعتها بالأمس حزبا
فاجمع جوانب رأيها	شعبا على الحسنى فشعبا
قل أنتـمـو أعلى يدا	من عابدى الإنسان رهبا
ذلوا فلما استرسلوا	تاهوا (١) بـقيد الذل عجبـا
وإذا أتوا عدد الحصى	فرمـالكم أوفى وأربى
جذب من الصحراء أغلى من جسيم الـروض تربا	
ظمان يشرب كل من	يغرى بكم أكلا وشربا

* * *

وقل استعدوا واسلكوا	فى مـفرق الحدين دربا
لا تُصـفـروا هولا ولا	تستكبروا الأهوال رعبا

(١) تاه يتيه : زها واختال .

وتبسينوا أين الفريق
 دار الذين سببتهم
 بنوا بمصر على العدى
 وحذار دعوى معشر
 رحمة عرفوا ولا
 القعدة العليا لهم
 عقدوا على البغى العرى
 الحر فاتخذوه صحبا
 حرية - هيهات تسبى
 وعلى الذى يحتال خبا
 لم يؤمنوا بالحق ربا
 عرفوا لغير الشر حبا
 وحش على العدوان شبا
 تبت يد الباغى وتبا

يا آل مصر تذكروا
 سى استعرت بيانه
 إلا اللباب فلانى
 سعد إذا أمضى مضى
 سعدا ففى التذكار قربى
 فعلى إن قصرت عُتْبَى (١)
 فى الرأى ما أخطأت لبأ
 وإذا دعاه الهول لبى

تحية زعيم راحل (٢)

أكبرت فى غيب الزعيم محمد
 حجب الردى عنا بشاشته ولم
 هيهات ينتقص الزمان مجادة
 فخر الصعيد ، وفخر مصر جميعها
 من يُرْسِلُ المثنى عليه ثناءه
 من كان يكبر حاضرا فى المشهد
 يحجب بشاشة ذكره المتجدد
 للسيد بن السيد بن السيد
 بالرأى ، والخلق القويم الأيد
 مسترسلا فى القول غير مقيد

(١) معنى البيتين : أنى استعرت بيان سعد ، فإن قصرت فى هذه الاستعارة فالعتب على . أما لباب المعنى فلا تقصير فيه ، لأننى لم أخطئه .
 (٢) أقيمت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

جمع القلوب على المديح وإن مضت

نهجين بين مصوب ومضعد (١) -

لم تُقَضْ في هذى الديار قضية ومحمدٌ بما قضوه بمبعد
مِلْءُ الندى وإن تطامن دقبة كم دقة شحذت مضاء مهند

في دارة الفلكى قبلة كوكب يعلو على رصد المنايا الرصد
تطوى المغارب جرّمه ، وشعاؤه متألّق في أوجه لم يخمد (٢)
أكبرت مطلعه ، ولم يك طالعى فى كل حين عنده بالأسعد
ورأيتَه أقصى وأقرب رؤية فإذا البروج لكوكب متوحد
مهما اختلفت حياله لم يختلف سمت السماء ولا علو المقصد
متحرّز بما يعاب كأنه متقيّد المسعى ، ولم يتقيد
شفّت سرائره ، فكل سريرة فيه تضيئك من سراج موقد
فإذا عهدت المحض من عاداته لم تلق يوماً منه ما لم تعهد

عزّ الكنانة فيه فهي فجيلة تبلو الكنانة فى الضمير وفى اليد
ما فى مروءات الشعوب مروءة إلا رعتنه بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه بين المحافل دون ما لم يُشهد
ومعاهد التعليم بين مشجع للعاملين بها ، وبين مزود
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ سرداً ، فعدد ما بدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هدايةً للمهتدين ، وقدوة للمقتدى

(١) المصوب : النازل ، وعكسه : المضعد .

(٢) الجرّم : الجسم ووزنه والأوج : الدررة العليا .

وصراحة الأخلاق ما اشتملت على

مستغلق فيها ، ولا متأود (١)
والعزة الشماء إلا أنها
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحاً
وعزيمة لا تكره الشورى وإن
شيم وآلاء إذا ما استفردت
كالشاهق المخضر لا كالجلمد
منها سوى الشجن المقيم المقعد
كانت لتكره حيرة المتردد
كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عز الكنانة والعزاء ليعرب
كم زاد عنهم والخطوب بمرصد
للحق ، لا لخبیثة مطوية
ولنصرة الإسلام لا لعصابة
سمح على ما فيه من غصبية
لا يستطاع على الخصام عناده
من اكسُفورد ، ولو نماه معشر
فيه محافظة ، وفيه طرافة
ورث الحمية كابرًا عن كابر
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما
فإذا بكت مصر فغير ملومة
ما بين متهم قومه والمنجد (٢)
والشمل بين مشرد ومبدد
تلقى العداة الرابضين بموعد
تسعى إلى الإسلام سعى المفسد
سهل ، وإن أعياء قوى التشدد
وعليه تعويل الأخ المتوود
للأزهر المعمور لم تستبعد
وأراه فى الحالين غير مقلد
والأريحية منجدًا عن منجد
سقىاه من أصلية أعذب مورد
وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *

رحم إلاله محمداً وأثابه
كان السبيل السرمدى سبيله
فى خلد الباقى ثواب منخلد
فعليه رضوان الإله السرمد

* * *

(١) معرج . (٢) المتهم : النازل للوادى ، والمنجد : الصاعد إلى الهضبة .

على قبر إبراهيم (١)

«... إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم ، وإن ما أنا قائل لأيسر ما
يقال فى هذا الموقف الأليم...» :

يا قبر إبراهيم مالى	بالبيان هنا يدان
بل فيك تنطلق العيو	ن وفيك ينعقد اللسان
ما كنت أحسب أننى	ألقاك فى هذا المكان
يا من حملت إليه أكر	م ما يعز ، وما يصان
جثمانك العف الطهو	رو قلبك الجم الحنان
وجبينك السمع الذى	ما هان قط ، ولا أهان
وعزيمة لم يثنها	غير الأمانة من عنان
حزنى عليك أبا خليل	ليس يحسوه الزمان
وجميل ذكرك فى فمى	وجميل صنعك فى الجنان
ماذا أقول ؟ ومن يعين	على رثائك ، أو يعان
أغناك فضلك ناطقاً	بالصدق عن نطق البيان
فعليك سابغ رحمة	ونعيم خلد راضيان
وسلام ربك عاطراً	وسلام قومك مجمعان

* * *

(١) ألقيت على قبر السرى الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته ، وكان - رحمه الله -
مثلاً لعلو الهمة ومكارم الأخلاق .

أه من التراب (١)

أين فى المحفل «مى» يا صحاب ؟
عُودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناح
مستجيباً حين يُدعى مستجاب
أين فى المحفل «مى» يا صحاب ؟

سائلوا النخبة من رهط الندى
أين مى ؟ هل علمتم أين مى ؟
الحديث الحلو واللحن الشجى
والجبين الحر والوجه السنّى
أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

أسف الفن على تلك الفنون
حصدها ، وهى خضراء ، السنون
كل ما ضمته منهن المنون
غصص ما هان منها لا يهون
وجراحات ، ويأس ، وعذاب

شيم غرّ رضيات عذاب (٢)
وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاء المعى كالشهاب

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الأنسة : مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

(٢) عذاب بكسر العين : جمع عذبة .

وجسمال قدسى لا يعاب
كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

كل هذا خالداً فى صفحات
عطرات فى رباها مثمرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبات
رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب

من جناها كل حسن نشتهيه
متعة الألباب والأرواح فيه
سائغ مُيِّز من كل شبيه
لم يزل يحسبه من يجتنيه
مُفرد المنبت معزول السحاب

الأقاليم التى تُنميه شتى
كل نبت يانع ينبج نبتا
من لغات طوّفت فى الأرض حتى
لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا
وحواها كلها اللب العجاب

يا لذاك اللب من ثروة خصب
نير يقبس من حس وقلب

بين مرعى من ذوى الألباب رجب
وغنى فيه ، وجود مستحب
كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

طلعه الناضر من شعر ونثر
كرحيق النحل فى مطلع فجر
قابل النور على شاطئ نهر
فله فى العين سحر أى سحر
وصدى فى كل نفس وجواب

حى «ميا» إن من شيع ميا
منصفاً حيا اللسان العرييا
وجزى حواء حقاً سرمديا
وجزى ميا جزاء أريحيا
للذى أسدت إلى أم الكتاب (١)

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذى صاغته طبعاً واكتسابا
والذى خالته فى الدنيا سرابا
والذى لاقت مصاباً فمصابا
من خطوب قاسيات وصعاب

(١) أم الكتاب هى اللغة العربية .

أُتْراها بعد فقد الأبوين
سلمت في الدهر من شجو وبَيْن
وأسى يظلمها ظلم الحسين
ينطوى في الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

أُتْراها بعد صمت وإباء
سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كل ما فيه رياء
وعداء كل ما فيه افتراء
وسكون كل ما فيه اضطراب

رحمة الله على «مى» خصالا
رحمة الله على «مى» فعالا
رحمة الله على «مى» جمالا
رحمة الله على «مى» سجالا
كلما سُجل في الطرس كتاب

تلكم الطلعة ما زلت أراها
غضبةً تنشر ألوان حلالها
بين آراء أضواء في سناها
وفروع تنهدى في دجائها
ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

غاب والزهرة تؤتى الثمرات
ثمرات من تجارب الحياة
خير ما يؤتى حصاد السنوات
بعثرتهم الرياح العاصفات
ورمتهم تراباً فى خراب

رُدْ ما عندك يا هذا التراب
كل لب عبقري أو شباب
فى طواياك اغتصاب واتهاب
خلقاً للشمس أو شم القباب
خلقاً لا لانزواء واحتجاب

وتيك ! ما أنت براد ما لديك
أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد «مى» غير موكول إليك
مجد «مى» خالص من قبضتيك
ولها من فضلها ألف ثواب

عام محمد (١)

جَدَّدَ العهد بعد عام محمد تلك ذكرى على المدى تتجدد
خلق لا يزال قدوة جيل بعد جيل ، أخلق به أن يخلد

(١) أقيمت فى الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله .

بل طراز من المكارم باق
ومعان غراء هيهات تُخصى
إنما يذهب الزمان فقيداً
ليس يُفنى الزمان مَنْ كُلما عس
أين من كان رحمةً وهو بأس
أين من كان للمساكين عوناً
أين من كان مُنيّة المتمنى
أين من عُود الإباء صبيّاً
أين من كلما تقلد امراً
أين من كان مرجع القوم فيما
أين من كان قولهم فيه شتى
أين من كان قائداً وهو فيما
سألوا أين أين ؟ وهو قريب
هو فى كل معهد يتراءى
هو فيهم وقد تغيب عامّاً
رب دان مجسد لا نراه

كلما عسده الكرام تعدد
كثمار الفردوس هيهات تنفذ
إن تقضى الزمان لم يُتفقّد
عس ليل سمعت : أين محمد؟
أين من كان أمة وهو مفرد
وله فى ذؤابة الجسد مسند
فى مغيب من الوداد ومشهد
ولكل من دهره ما تعود
صان فى جيده عرى ما تقلد
صدع العزم أيدياً (١) فتبدد
والطوايا فى وصفه تتوحد
نتقيه جندى مصر الجند
منهم فى جواره غير مبعد
هو فى كل مسمع يتردد
لا يرى قاصداً ، وإن كان يُقصد
وبعيد نراه غير مجسد (٢)

* * *

مصريا أمة الخلود المشيد
أنت فى نعمة وخير عميم
لك فى الذكريات كنز رجاء

والوفاء الذى رسا وتوطد
ما تعهدت خير ما يُتعهد
أبد الدهر بابه لا يوصد

(١) صدعه أيدياً : أى حطمه بلداً وشتته وبعثه .

(٢) رب قريب ملموس لا يرى لتفاهته ، ورب بعيد غير محسوس نراه للحاجة إليه
ولأهميته .

فاذكري الغابرين وادخريهم
 إنهم مهتدوا الطريق ولولا
 اذكري كلما بلغت زهيدا
 واذكري كلما بلغت عظيما
 إن ما ضاء كان بالأمس ظلما
 والذي في يدك كان سرايا
 وارقبي العالم المطل علينا
 الحروب التي تضحج وغاها
 إننا في يديه لعببة لاه
 ما مضى من زماننا أو سيأتي
 الجنين الموعود لا تجهلوه
 هو حي ، إن لم يكن قد تسمى
 لغرار ينضى وعزم يشدد
 خطوهم فيه لم يكن بالمهد
 من أمانيك أنه كان أزهد
 أن جهد المصري في المجد أجهد
 وما ابيض كان بالأمس أسود
 زمنًا ثم صار يُجنى ويحصد
 من غد . إنه جنين سيولد
 هي نجوى مخاضة تتصعد
 إن جحدناه أو حسبناه يُجحد
 في يدى ذلك الجنين سيحشد
 يا بنى مصر فھر للجھل مَرصد
 باسمه في قرابه فكأن قَدْ (١)

فاجمعوا غدة من الأمس تُرضى

واجمعوا غدة من الغد تُحمد

أنتم في كنانة الله أهل
 ولكم من صيانة الله شروى
 كل حق لكم فغير مضاع
 أن تصدوا السهام وهي تسدد
 ما تصونون من فنخار وسؤدد
 ما رعيتم حقاً لمثل محمد

(١) «كأن قد» تعبير معناه أن الأمر كأنما كان وتم .

الشهيد معاوية

... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني التابع
معاوية محمد نور ، وقد لقي نصيباً من سقامه وعوجل - رحمه الله
- في ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربي بأمل
كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى في يوم تأبينه ،
عوض الله الأدب فيه خير العوض ، وعزى الأدباء أحسن العزاء :
أجل هذه ذكرى الشهيد معاوية

فيا لك من ذكرى على النفس قاسية

ولا يوم تكريم ، ودنياً باقية
أصائله فيها ، وأشقى لياليه
مطالعته في مشرق النور عالية
على الأفق أخرى أن يعم نواحيه
ومن مقلة ما شوهدت قط باكية
وأغصانه تختال في الروض نامية
وما وعدتنا ، وهى في الغيب ماضية
لئلاً ، وأخرى لم تزل فيه خافية

أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه
فما أقصر الدنيا التي طول الضنى
وما أضيع الآمال آمال من رأوا
ومن أيقنوا أن الهلال الذي بدا
بكائى عليه من فؤاد مفعج
بكائى على ذاك الشباب الذى نوى
بكائى على ما أثمرت وهى غصة
فضائل منها نخبة أزهرت لنا

* * *

وما بان لى أن المنية آتية
خواتيمها من بدتها جد دانية
سيسمعه الناعون من فم ناعية
فجيئتنا فيه ، وما أنت ناسية

تبينت فيه الخلد يوم رأته
وما بان لى أنى أطالع سيرة
وأن اسمه الموعود فى كل مقول
أجل هذه ذكراه يا نفس فاذكرى

أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفى عليه شأبيباً^(١) المدامع دامية
إذا قصرت أيام من نرتجيهم
فيا طول حزن النفس والنفس راجية
ويا طول حزن النفس وهى منيبة
إلى اليأس من عجز بها ، وهى أبية
فيا يوم ذكراه سنلقاك كلما رجعت إلينا ، والضمائر صاغية
ويا عارفيه لا تضنوا بذكره
ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعيروه بالتذكر ما ضن دهره به عيشة فى مقبل العمر راضية
وزيدوا النفيس النزر من ثمراته بتكرارها فى القلب أولى وثانية
فإن لم تكن فى العد كثرًا فباركوا معانيها حبًا ، ووفوا معانيه
عليه سلام لا يزال يعيده ويبيديه شاد فى الديار وشادية

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر^(٢) ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق فى تاريخه ، الملبس الماضى لباس الحاضر
الناقد الأنباء نقد صيارف ، الوازن الآراء وزن جواهر
المستعين على السياسة بالحجى والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت يوماً منتقم ولا لمناظر
الدارس الأيام درس مجرب يلقاه باطن سرها كالظاهر

(١) جمع شؤبوب ، وهو دفعة المطر .

(٢) هو فقيه الكتابة والصحافة ، المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، صاحب «البلاغ» .

الصابر المزجى الخطوب بصبره
 الباذل الدنيا على علم بها
 المستعز بوحدة الأسد الذى
 الراسخ الجمل الوقار ، بغير ما
 الصامت النزر الكلام بغير ما
 الوادع السهل الطباع بغير ما
 الصاحب المبقى على أصحابه
 الوالد البر الرفيق بولده
 الشائر الوطنى فى ميدانه
 الصارم الماضى السلاح وعنده
 عرف الحقائق فاستراح جنانه
 ووعى عواقبها فلم يع صدره
 حتى يزُلْنَ ، ونعم أجر الصابر
 فى اليسر والإعسار ، بذل مسافر
 يأبى التجمع فى القطيع النافر
 عنت يصيب ملالة من زائر
 حصري عيب ، ولا كلاله خاطر
 سلس لباع ، أو مهابة أمر
 ما بين واف منهم أو غادر
 وبأله رفق العليم الشاعر
 عجبى له من مستقر ثائر
 بعد ارتداد السيف عتبى عاذر
 من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
 بغضاً لمعتقد ولا لمكابى

علمى به علم المطالع زاده
 كم مر من يوم ضحك بيننا
 نخضنا الحياة معاً على علاتها
 وجرى يراعانا (١) معاً فى حلبة
 ذكره والأيام عابرة بنا
 ذكرى القشيب من الشباب ترينها
 عهدان من عمرين لو نسجا معاً
 علم على بعد ، وعلم معاشر
 أو مر من يوم عبوس كاشر
 متلاحقين مع الشباب الباكر
 عزت على غير الطمر الضامر
 نعم العتاد لذاكر ولعابر
 ذكرى المشيب من الجهاد الظافر
 لم تدر أيهما مكان الآخر

(١) أى : قلما نا .

يا يوم منعاه سبقت بمنذر
يوم لمست النحس قبل صباحه
ومشى النهار إلى منقبض الضحى
خُيرت فيه فحين زالت حيرتى
بذهاب نابغة ومصرع غالب
وفجیعة لا كالفجائع فى أخ
فى الصلر من وحى الهواجس صادر
وطويت فيه عل الهموم ضمائر
كالليل ، مشية مستكين عاثر
زالت بأفدح من ظنون الحائر
وختام عهد بالعظائم عامر
وزميل أقلام وصنو مناير

تمضى السنون وفى الصباحائف صفحة

تبيض فخرًا ، وافتقاد محابر
ما كان خط مداده فى طرسها
أسفى عليها وهى لا بسة له
وعزیزة للنابغین نظائر
فإذا بكى الباکی علیه فإنما
وإذا جزیناه الوفاء فبعض ما
إن الذى حفظ العصور بذكره
وتراث عید القادر الباقي لنا
تبيض فخرًا ، وافتقاد محابر
إلا بياض جبینها المتباهر
ثوب الحداد من البياض الشاغر
فى الشرق تتلى بعدهم بنظائر
يُذرى الدموع على عزیز نادر
وفى الحقوق لحاضر ولغابر
حق له ذكرى الثناء العطار
فيه «البلاغ» لقارئ ولذاكر

هنا وهناك

تفسير حلم

مهداة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم

تفسير حلمى بالجزيرة (١)	وقفتى فى المقرن
حلمان حظهما خيا	لا دون حظ الأعين
ما دمت بينها فما	أنا سائل عن مسكنى
وإذا التذكر عاد بى	عطف الجديد فردنى
يا جيرة «النيل» المبا	رك : كل نيل موطنى
وله سمى فى الصحا	فة معرب لم يلحن (٢)
حييت فيه سميّة	وحدت فيه مأمنى

صوت السودان

صوت (٣) من السودان أسد	معنى بمصر فسرّنى
تهفوله الأسماع صا	غية ولم يستأذن
فيه بشاشة وامق	ومبشّر ومؤمن
لولا حفاوته الكريمة	ما علمت بأننى (٤)

(١) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة ، والمقرن هو حديقة بالخرطوم فى موضع الاقتران بين النيلين .

(٢) السمى هو من يحمل الاسم نفسه ، ويقصد أن لنهر النيل سميا فى الصحافة هو صحيفة النيل .

(٣) إشارة إلى صحيفة «صوت السودان» الغراء من أكبر صحف الخرطوم .

(٤) هذا الوصل لا يرضاه العروضيون ، ولا نجري على مذهبهم فيه .

فأرقت من مصر الجديدة ذات يوم مسكنى
شكراً له صوتاً تبين من لسان بين
مستلهم لغة القلوب ب مترجم بالأعين
شمل العروبة كلها وسرى إلى فخصنى
ماذا أقول وقد سبق ست بكل قول ممكن
قدم العهد أحبلى من بدعة المتفنين
من كان ديدنه الصنا عة فالسليقة ديدنى

شعر الأسود

كم هازل بالشعر جهده
يهذى به ويعاف جده
ما الشعر للنسناس وحده
كم ألهم التبيان أسده

القمر والظلام

لا أوتر القمرأ فى حسنهأ على الدجى ، والطرف فيه يحوم
سناك يا بدر يرينى الثرى وظلمة الليل ترينى النجوم

صداح الأثير^(١)

ملاً الآفاق صداح الأثير لا فضاء اليوم . بل صوتٌ ونورٌ
لك من كل فضاء شاسع حيثما يمت ، داع وبشيرٌ
ما صفاء الجو إن فتشته غير أصداء حوالك تمور
لجَبُّ لَكِنَّهُ مَسْتَأْذِنٌ يطرق السمع بسلطان قدير
أو هي الأرواح إن قلت احضري

حضرت ، أو شئت أعيها الحضور
قيل أمواج . فقلنا وبحور
تركب الألباب فيها سفناً
من معان وبيان وشعور
حملت من كل زاد ، وقَرتْ
سَبَقاً بين طويل وقصير
ولها في كل يوم مدد
كل غاد ، ووعت كل أثير^(٢)
يلتقى الأول فيه والآخر

كان فرعون له مجلسه وهو ذو الصرح المعلي والسرير
ولنا في كل دار مجلس
يسع العالم أيان يدور
هو ناد لك ، أو مدرسة
أو مجال سبق ، أو ملهى السرور
غلب الوهم الذي زينته
في الأساطير خيالٌ مستطير
دعوة المارد إن قيست إلى
دعوة المذيع ظن وغرور
بورك العلم لعمري إنه
من صفات الله ، والله قدير
ربما أسممنا في غده
نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

(١) اقترحت محطة الإذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(٢) الأثير هنا بمعنى المأثور ، وهو المفضل المنتقى .

مُسْمَعِ الْعَالَمِ فِي عَاصِمَةِ تَسْبِحِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَتَطِيرِ
لَا يَقَرُّ الدَّهْرُ إِنْ مَادَتْ فَإِنْ سَكَنْتِ فَالدَّهْرُ حَوْلِيهَا قَرِيرِ
بَنَيْتِ حِينًا عَلَى الْبَأْسِ وَمَا رَصَدْتَهُ الْيَوْمَ إِلَّا الْمَغِيرِ
جَمَعْتَ أَوْصَالَهَا حَرِيَّةً يَسْتَبْوِي فِيهَا قَلِيلٌ وَكَثِيرِ
وَحَصِيمِ الْأَمْسِ مِنْ أَعْدَائِهَا هُوَ فِي مَعْمَعَةِ الْيَوْمِ نَصِيرِ
كُلُّهُمْ ، وَالْأَمْرُ شُورَى بَيْنَهُمْ ، مُسْتَجِيرٌ فِي حِمَاهُ وَمُجِيرِ

عَامَكَ الثَّالِثَ أَمْ شَرَحَ الصَّبَا ؟ أَنْتِ فِي مَهْدِكَ جَبَارُ جَسُورِ
لَسْتُ بِالْحَبِيبِ وَخَبِيرًا إِنَّمَا أَنْتِ بِالْوُثْبِ عَلَى الْأَفْقِ خَبِيرِ
رَاكِبُ الرِّيحِ إِذَا قَسَيْسَ إِلَى خَطْوِكَ الْوَانِي سَلْحَفَاةَ كَسِيرِ
حَدَّثَ الدُّنْيَا حَدِيثَ الضَّادِ مِنْ سَاحَةِ رُتُلٍ فِيهَا شِكْسَبِيرِ
وَأَعْدَهُ سَارِيًا حَيْثُ سَرَى زَمْنًا فِي مَغْرِبِ الشَّمْسِ الْمُنِيرِ
طَالَمَا رَنْتِ عَلَى أَفَاقِهِ نَغْمَاتٍ مِنْ نَظِيمٍ وَنَثِيرِ
مَنْ رُبَا أَنْدَلَسَ حِينًا وَمَنْ قَمَمَ الْأَطْلَسَ حِينًا وَالثَّغُورِ
هَاتَهَا فِي نَسْقٍ مَوْصُولَةٍ يَلْتَقَى «بَيْرُون» فِيهَا وَجَرِيرِ (١)

نَاقِلِ السَّرِّ وَمَا أَعْجَبَهُ فِي رَحَابِ الْكُونِ مِنْ سِرِّ جَهِيرِ
تَسْمَعُ الْقُطْبَيْنِ ضِدِينَ كَمَا يَسْمَعُ النُّجُوى سَمِيرٌ مِنْ سَمِيرِ
عَصَبِ الْأَنْسَابِ يَا هَذَا الْأَثِيرِ

أَنْتِ فِي الْأَرْضِ ، وَفِي الْكُونِ الْكَبِيرِ
كَلْنَا فِي رَحْبِهِ عَائِلَةٌ حِينَ تَسْرِي أَنْتِ أَوْ حِينَ تَسِيرِ

(١) هُوَ الشَّاعِرُ الْإِنْجَلِيزِيُّ الشَّهِيرُ اللَّوردُ بَيْرُون . وَجَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ الشَّاعِرُ : الْأَمَوِيُّ الشَّهِيرُ .

تنظم القربى على طول المدى من ذرى الشعرى إلى قاع البحور
عجبنى من عالم تجمعه أذن - كم فيه من قلب نفور!
قل حديث الحرب والسلام معاً رب حرب هى للسلم عبور
أنت بالصدق كفيل أن ترى أم الأرض إلى الحق تصير
يملك اللب حليفاً راضياً من له فى دولة السمع سفير

إلى «المستمع العربى» بلندن (١)

دعوت إلى حق وأسمنت واعياً فحييت مدعوا، وحييت داعياً
وأثرت للعرب اللسان الذى به تنزل وحي الله للعرب هادياً
وناديتهم من جانب الغرب مثلهم فتى عربياً واضح الصوت عالياً
أصاخوا فلم يستنكروا القول عجمة

ولم يسمعوا منه لساناً مداجياً إذا الحر ناجى الحر فليلق قوله
صريحاً، ولا يومئ إليه موارياً على ذاك يمضى «اللندنى» محدثاً
فيصغى إليه «القاهرى» موالياً ويصغى ابن بغداد إليه محدثاً
وينقل عنه شعب مكة راوياً وفى جلق (٢) واع، وفى القدس شاخص

وفى برقة شاد يجابوب شادياً حقائق فى شرق البلاد وغربها
يساجل فيها الحاضرون البوادية (٣) يؤلف شملهم على البعد أنهم

أبوا أن يطيعوا فى سوى الحق راعياً

(١) اذيعت فى مطلع العام الثانى لمجلة «المستمع العربى» التى تصدرها محطة الإذاعة العربية بالعاصمة الإنجليزية .

(٢) اسم من أسماء دمشق .

(٣) الحاضرون هم سكان الحواضر .

وأنهم للظالمين بمرصـد
وأن الذى أوصى به الشرق بادئاً
فيا لك من حرية جمعتهما
وما عصابة الأحرار إلا أخوة
فلا جاور الشرق امرؤ يصطفى له
ولا زال هذا الشرق بالحق أمراً
طفأة على من يحكم الناس طاغيا
تواصى به الأحرار فى الغرب تاليا
إلى نسب عال عليه تلاقيا
إذا اشترك القطبان فيها تأخيا
عدواً لآمال الشعوب معاديا
ولا زال هذا الشرق بالحق ناهيا

إلى «مسمع العرب» الكرام تحية
أرى لك فى سن الفطام شبيبة
والمح من بشراك طالع مولد
سبقت ركاب النصر حتى كأنما
وأتمت حولاً واحداً فتحوّلت
أحيى بها عاماً من العمر ثانيا
تسابق فى العام القرون الخواليا
تلاقيه أبراج السعود حوانيا
خففت لتلقاه على القرب آتيا
مخاوف أقوام فلاحت أمانيا (١)

فإن شئت كن فألا ، وإن شئت هاتفاً

إذا أسمع الضليل أقبل ناجيا
تبلبلت الأسماع حيناً ، وأطبقت
وهيهات ما كان الرجاء مغيباً
يقينى الذى لم يطرق الشك سمعه
وأن الذى خالوه صرعة هالك
وقد هجر الغافى المضاجع فانظروا
توثب للعدوان فليمضن واثباً
صروف قضاء ظنه القوم قاضيا
لمن رame ، كلا ولا الأمر خافيا
سحابة يوم أن للحق واقيا (٢)
نذير إذا ما أشتد أيقظ غافيا
على الساهر الجهد المكتم باديا
على غرة منه لينقض هاويا

(١) اتفق فى إبان الاحتفال بعام المجلة لثانى أن تحولت كفة النصر إلى جانب الدول الديمقراطية .

(٢) كانت أحاديث العقاد دواما تبشر المحور النازى بالهزيمة ، حتى وهو فى أوج انتصاراته .

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتى فسلنى غداً عنها ، وما أنت ناسيا
سيدبر شر كان بالأمس مقبلا ويقبل خير كان بالأمس ناثيا
ويصعد نجم العرب فى الشرق ساطعاً

ونجم حليف العرب فى الغرب ساطيا
كفيلى بما أنبأت صدق رؤيئة ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا
فلا انخدعت ، والحمد لله ، ضلةً ولا خدعت يوماً وفيّاً موافيا
غداً ، فانتظرنى باليقين إلى غد وهاك التحايا قبله والتهانيا

بين التعب والراحة

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد
ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد !
ما ابتغاء المزيد من يوم أمن عاطل لا يزد بالتعداد
فالزمان المريح تكرر شيء واحد وأطراد حال معاد

هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحى
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يوماً على المسرح !

النقد

أعطيتهم لؤلؤاً حرّاً فحين رأوا صغيرةً منه صاحوا : أى إفلاس !
وجادهم بالحصى غيرى فحين رأوا خريزةً فيه قالوا : أكرم الناس

الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا
وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألفاً عين ، وإن تشأ
فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

رأى الناس

من عود الناس خيراً طالبوه به كأنه الدين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقبهم شراً فأمهلهم يوماً تقبل منهم أجر مشكور
لا رأى للناس فى نفع ولا ضرر وما لهم قط من حكم وتقدير

بين هم وسامة

أتهمم بالدنيا ؟ فتلك حبيبة إليك فما تخليك يوماً من الهم
أليس لها هم ؟ فهاتيك خلة (١) صداقتها أضنى من الهم للجسم
وما بين هم دائم أو سامة خيار المختار وحكم لذى حكم
فخذها على علاتها والى عيشها شقياً بعلم ، أو شقياً بلا علم

(١) الخلة هى الخليلة والصديقة .

الطيش والحزم

الطيش أن تعمل ما تشتهى .. وقد يساوى النفع فيه الضرر
والحزم أن تحذر ما تتقى وقلمما يغنيك فيه الحذر
كُفؤَانٍ إن وازنت حظيهما ...

يا صاح . فاختر منهما ما حضر !

يا كتيبى

فى ختام الجزء الأول من الأجزاء الأربعة المجموعة فى مجلد
واحد قصيدة بهذا العنوان ، جاء منها هذه الأبيات :

يا كتيبى أشكوا ولا أغضب	ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتيبى أورثتنى حسرة	هيهات لا تُنسى ولا تذهب
يا كتيبى ألبست جلدى الضنى	لم يغن عنى جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها	سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى	جماجم اللوتى بليت تخطب (١)
والناس إما غارق فى الكرى	أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق واقاه معشوقه	فقال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله	بيومه الماضى وما يُعقب
ينتفع المرء بما يقتنى	وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى	وخبرة صاحبها متعب

(١) الكتب فى الغالب موتى يتكلمون ، فإذا قرأت فيها فكأنك تصفى إلى جماجم
تتكلم .

وختمت القصيدة بهذا البيت :

لا رحم الرحمن فيمن مضى من علم العالم أن يكتبوا

والقصيدة الجديدة في هذا الديوان تشير إلى تلك الأبيات بما ورد فيها من المقابلة ، وهذه هي :

شكوتها والعمر في فجره	فكيف بي لما دنا المغرب ؟
لما دنا المغرب صالحتها . . .	تلك التي تُشكى ولا تغضب
تلك التي قلت لها مرة	والقلب دام والحشا ملهب
« يا كتبي أورثتني حسرة	هيهات لا تنسى ولا تذهب »
« يا كتبي ألبيت جلدى الضنى	لم يغن عني جلدك المذهب »
فالآن يا كُتُوبى تعالى لمن	أخبتُ شيء عنده طيب
ما أنت شر من عناء المنى	وهي التي في صدقها تكذب
ما أنت أقسى من شقاء لهوى	وهو الذى فى لهوه يتعب
ما أنت أغلى ثمنًا ، إن غلا	من جواهر يكثر أو يعطب
ما أنت فى سكر وفى متعة	أحلى من السم الذى يشرب
ويحك ! إنا نحن من معشر	يسبق فينا « الدور » أو يعقب
غداً سنمسي كلنا ما لنا	فى العيش إلا رَفْقُ المُتَرَبِّ
فليت لى إذ أنا تحت الثرى	جمجمة ثرثرة تخطب
رهطاً من القراء يرضوننى	رضاي عن بلواك إذ أغضب
يا كتبي ما شئت فلتحسبى	أو شاء قرائى فليحسبوا

عجز أو قدرة

علميني كيف لم تضطربى بين أسماء الأقاليم والأداني
أنا لو لاقيت أخرى مرة

خفت أن يخلط باسمين لساني

الغواني في حجاب دائم ... عبث كل سفور للغواني
قدرة فيهن أم عجز طغى أم هما في لحظة مجتمعان ؟
من فناء الغيد في حاضرها نسيها من غاب عنها كل أن

جواب جميل

قال جميل ابن معمر صاحب بثينة :

ألا أيها النوام ويحكمم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟
وأجيب بلسان أحد النوام :

بربك دعنا راقدين فلو درى بنا الحب لم يرقد لنا أبداً جنب
وسل راقدي الأجداث^(١) عنه فإنهم

مجيّبوك عن علم بمن قتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

(١) الأجداث هي القبور .

وقد أجيب بذلك اللسان :
أفق مزعج الموتى فلو كنت قادراً
على أن تهبَّ اليوم من صرعة هبوا
ولست إلى أن يُسمَعَ الصوَرُ سامعاً
هنا سر مقتول يبوح به صنب !

الفقير

ثروة المرء بما يطلبه لا بما يملكه بين يديه
مالك الأرض فقير إن رعى مطلباً يطمح بالعين إليه
والذى أفقر منه طالبٌ وُدَّ قلبٍ ماله وُدُّ لديه

ويلنا

من غلا عنده السرور رخيص كاسد السوق فى كبار الأمور
والذى يستحق كل سرور عجباً يزدري بكل سرور !
إن غلا عندنا النعيم رخصنا ويلنا ويلنا بدار الغرور

سيان

إن قيل بالحق أو البهتان
دعهم يقولون ، وقل سيان !
سيان مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخصمان

سيان ألف هي أو ألفان
سيان بيد هي أو مغان (١)
سيان نور أو ظلام فان
سيان من يلهو ومن يعانى
قلها ببرهان ولا برهان
وأنت أنت أحكم الزمان
وإن تصدوا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان !

*** أتمنى

أتمنى يوماً لو أن حياتى	تنقضى كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمنى	لو تعلمت كيف أن أتمنى
أتمنى لو علمتنى الليالى	باطل الأمر قبل أن أتمنى
منية لو تحققت لتساوى	ما تملكته وما أتمنى

الصِّرفُ والمزيج

رب ما بالننا نغصُّ بأحلى	ما شربنا وفيم يا رب يحلو؟
رب والعيش فيه حلو ومر	لم لا يمحضان والأمر سهل؟
لم لا يصفوان فالشهد شهد	حين يعطى العباد والخل خل
إن خلا يشوب شهداً ضلال	ولشهد يشوب خلاً أضل !

(١) البید : الصحارى والمغانى : الحداثى .

خداع النفس

يقول وما قضى عجباً فتى يخبط فى حدسه
أىخدع نفسه رجل له عينان فى رأسه ؟
أجل يا صاح : عينان ! وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع للإنسا ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود وقاك الله من دسه

كيمياء وصيرفى

قال ابن الرومى :

إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلباً أحاله إنسانا
ولم يقل :

إن للحظ صيرفياً أريباً يقتفى كيمياءه أحيانا

جنة الخيام

رغيفٌ خبز ووجهٌ حلوٌ، وكأس مدام
وتلك جنة عدنٍ فى مذهب الخيام^(١)

قالوا : ونودى يوماً ما تشتهى فى يدىكا
دع مطلباً منه فرداً والباقيان لديكا

(١) عمر الخيام : الشاعر الفيلسوف الفارسى ، وله رباعية بهذا المعنى .

فحسار بين رغيف إن فاته مات جوعا
وبين وجه منير إن غاب غابت جميعا

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع مناه أفاق وهو غيبين

طال التردد فيها فمال عنها كظيما:
سألت جنة خلد وما سألت جحيما

قالوا فناده صوت يقول في غير رفيق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق:

«أتلك جنة خلد تهذى بها يا حكيم
بمطلب إن عداها ترتد وهي جحيم؟»

بيجو

« . . . صور كثيرة بقيت فى خلدى من الإسكندرية كأنها
صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ .
وستبقى ما قدر لها البقاء .

وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف
أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديقى «بيجو»
الذى فقدناه هناك .

وانى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها
الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فإن الناس قد أثبتوا فى
تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك
بصناعة التحقير . . فكم من مبجل بينهم ولا حق له فى أكثر من
العصا . وكم من محقر بينهم ولا ظلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء
والاحتقار .

وكنت أقدر أننى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة
أشهر الصيف الجديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى
مطروح ، أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمعت له
ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين
والمحدثين . فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أياماً فى
القاهرة وأياماً فى الإسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو
فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ، ولا عزمتم على
اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامى فى

القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع . ولكن المخلوق الأمين الوفي
أرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الإسكندرية وكلما
رجعت منها . لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة
الثانية . وزاده إصراراً على الصيام أننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ
أحمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى «فى عالم
السدود والقيود» .

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثّر الصلاة
والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يقربها إلا على مسافة أشبار .
وبيجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ، ما هو إلا أن تبين النفور
من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى ، فكنا إذا
تعمدنا تخويله وزجره نادينا : «يا شيخ أحمد» ! فإذا بيجو تحت
أقرب كرسي أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أن
الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد .

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن
الصيام فى غيابنا أصبح بيجو من ركاب السكة الحديد المعروفين
فى الذهاب والإياب . وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الإسكندرية
ومن الإسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع . وشاعت له نوادر فى
معاكسته للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتألف منها تاريخ وجيز .
ثم أصابه فى الإسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشياً فيها
واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة
عليه من مشقة السفر وعلمت أن الأمل فى شفائه ضعيف ،
ولكنى لم أجد مكاناً أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه .

وإني لفي ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب
لحجرتي وخذش يكاد لا يبين . ففتحت الباب فرأيت المخلوق
المسكين قابلاً في ركنه يرفع إلى رأسه بجهد ثقيل . وينظر إلى
نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعها نظرة عين حيوانية أو إنسانية من
معاني الاستعطاف والاستنجد والاستغفار . أحس المسكين وطأة
الموت فتحامل على نفسه وخطا من حجرتي إلى باب حجرتي
وجلس هنا يخذش الباب حتى سمعته وفتحت له وهو لا يزيد
على النظر والسكوت .

كان اليوم يوم أحد . ولكننا بحثنا عن الطبيب في كل مظنة
لوجوده حتى وجد ، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه
وآله في ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن
مريضه الذي تعلق به وعطف عليه ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو
يفارق هذه الدنيا التي لم يصحبها أكثر من سنتين .

سيبتي من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول ،
ولكني لا أحسبني ناسياً ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل ،
يقول بها كل ما تقوله عين خلقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم
بليغ من استنجد واستغفار ، كأنه يعلم أنه أقلقني ولا يحسب ما
كان فيه عذراً كافياً لإقلاق صديقه .

ومن شهد هذا المنظر مرة في حياته علم أنه لا ينسى ، فإن لم
يعلم ذلك فهو أقل الناس حظاً من الخلائق الإنسانية ، لأن البعد
من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيداً من الحيوان . بل
يقربه منه غاية التقريب»

* * *

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨) وفيها ما يصلح أن يكون مقدمة للقصيدة التالية . ولكنها مقدمة تفتقر إلى تنمة من مقال آخر نشر فى الرسالة أيضاً بعنوان «كلبى بيجو» قبل ذلك بنحو عام . وهذا هو المقال :

«... أنا أكتب هذا المقال عن «بيجو» وهو ينظر إلى ثم يذهب ويعود ليطل مرة أخرى ، ولا يدرى أننى أكتب عنه وأشيد بذكره . وكل ما يدرىه أننى جالس فى هذا المكان الملعون الذى يحب كل مكان فى البيت غيره . وهو كرسى المكتب .

ففى كل مكان فى البيت يرانى مستعداً لملاعبته واستجابة نظراته والتفرج على فنونه وألاعبيه وقفزاته . أو يرانى مستعداً للإشارة إليه واستدعائه فإذا هو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوى على مكانه بجانبى ، ويغرينى بملاطفته ومجاملته أن أبذل له الملاطفة والمجاملة وأحييه بعبارات التودد والمساجلة ... ينتظر منى ذلك فى كل مكان إلا كرسى المكتب . فإذا جلست إليه لأكتب أو لأقرأ فهو حائر لا يدرى ما يصنع : يدنو من الكرسى إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه وينظر ، ثم يعيد النظر كرة أخرى . ولعله يسائل نفسه : ما بال صاحبنى لا ينادينى ولا يجيبينى ؟ وما بال عينيه تتجهان أمامه وقلما تتجهان ناحيتى ؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراجه وغاب هنيهة ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء أو لمسة التربيت والاحتفاء ، ولا يزال كذلك حتى يئأس ويسأم فيولى وجهه شطر العوبة يتلهى بها أو شغلة أخرى من الشواغل البديعة التى يفرضها على نفسه

ولا يفرضها أحد عليه ، وأولها حراسة الباب والعواء على من يصعدون السلم أو يهبطونه .

وقد تبعنى اليوم إلى المكتب ونظر إلى قليلاً ثم غادر المكان الملعون يائساً عابساً دون أن يلح فى الانتظار والمناورة . لأنه تعلم بالمرانة الطويلة أن الانتظار فى هذا المكان لا يفيد . وأن الكلب العاقل الرشيد هو الذى يغادر مكان الكتب والأوراق بغير تدبر ولا تأمل ولا إطالة . والحق معه حتى فى آراء الأناسى العقلاء الراشدين .

وقد أردت اليوم أن أدهشه وأخلف عادته فرفعت رأسى من الورق فى بعض جيئاته وصححت به منادياً : بيجو ! بيجو ! تعال ! إن كتابتى اليوم تعنيك . ألا تريد أن تقرأ ما كتبت ؟ فوجم ولم يكذ يصدق أذنيه . وتردد لحظة ثم قفز إلى الكرسي فالمكتب حيث الورق الذى أخط عليه هذا المقال . كأنه يريد حقاً أن يقرأه ويستطلع ما فيه ، وكأنه لا يفضل بالعقل والرشد أولئك الأدميين الذين يعنيههم ما يكتب عنهم الكاتبون كما ظننته لأول وهلة . ولكنه ما لبث أن أخافنى من أسلوبه فى القراءة والمطالعة .

لأنه هو والتمزيق فى عرفه شىء واحد ، وهل هو بدع فى أسلوبه وهذا شأن كثير من الأدميين الذين أكتب عنهم ؟؟ فنحيته برفق وحملته إلى الباب وأرسلته فى الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته ، ولا أزال أسمع نباحه يلاحقنى بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب ! .

ويجب أن أعترف للقراء بأن كلبى «بيجو» ليس بكلبى على التحقيق ، ولكنه كلبى فى شريعة الدعوى والاغتصاب . أو هو كلب صديقى العزيز «فيفى» الذى لم يجاوز الستين إلا منذ شهرين ^(١) . ولا أخاله إلا مطالبى به قريباً بعد أن زال الموجب لإقصائه وهو انحراف صحته فى موعد التسنين وفيما أصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد .

والأصل فى المصائب أن تجمع بين الأصدقاء لا أن تفرق بينهما كما افترق فىفى وصديقه بيجو . ولكن اللوم فى هذا الافتراق على صداقة بيجو دون غيرها - أى على إفراطه فى الصداقة لا على تقصيره فيها - فمعاذ الله أن يتهم كلب بخيانة الأصدقاء .

كان بيجو يرى «فيفى» على سريره ساكناً من التعب والإعياء فلا يحسب أن شيئاً تغير بينه وبين مولاه . ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التى لا يكل عنها ولا يتوانى فيها وهى الموائبة والملاعبة واصطناع العض والمصارعة ومولاه فى شاغل عن ذلك ، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شاغلاً أهم من تلك الخدمات المرفوضات .

وإذا أقبل الطبيب وصرخ (فيفى) من مقاربتة وجسه وفحصه كما يصرخ جميع الأطفال من جميع الأطباء فما هى إلا لحظة كأسرع ما يكون لمح البصر وإذا بأنياب (بيجو) توشك أن تنغرس فى ساق الطبيب الذى يعتدى على مولاه بما يبكيه ! أما إذا ربطوه

(١) هو موفق ، ابن الأستاذ حافظ جلال وكانوا يلقبونه «فيفى» .

اتقاء لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار فى البيت كله لا لمولاه
العزیز ولا للنائمين حوله أو الساهرين عليه .

لهذا عوقب (بيجو) على إفراط صداقته بالنفى من جوار مولاه
فى أثناء توقعه وانحراف مزاجه ، ورضيت أنا أن أتولى مؤاساته
وحراسته أيام منفاه حتى تنجلي الغاشية فيعود إلى مأواه .

وما انقضت فترة وجيزة حتى أصبح (بيجو) شخصية من
شخصيات البيت المعدودة . وحتى فرض على نفسه واجبات
وأعمالا لم يفرضها عليه أحد ، ولكنه يغضب ويتذمر إذا أنت
قاطعته فيها أو عوّقته عنها ، كأنك تحسبه مخلوقاً عاطلاً لا يصلح
لعمل ولا يؤتمن على واجب . . . عرف الفرق بين جرس التليفون
وجرس الباب فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة وغضب
من الخادم كلما سبقه إلى غرضه ، فتظاهر بَعْضُهُ والوثوب عليه .

ومن عجائب ذكائه أنه إذا سمع جرس الباب أسرع إلى الباب
ولم يفعل كما تعود أن يفعل حين يسمع جرس التليفون . مع أن
جرس الباب يدق فى المطبخ حيث يكون الخادم ولا يدق فى المكان
الذى يجرى إليه . ولعله عرف أن فتح الباب هو المقصود بدق
الجرس فى المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقاته ،
ولكن تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاولة
الأعمال والواجبات .

ومن الأعمال والواجبات التى فرضها على نفسه ولم يفرضها
عليه أحد أنه لا يدع إنساناً ولا حيواناً يصعد السلم إلا أدركه
بنباح الاحتجاج من وراء الباب ، فيعدو أمامى ويعود إلى ولا يزال

يرقص ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتربيت المحبب إليه . لأجل الطعام يهش لى (بيجو) هذه الهشاشة ويرعاني هذه الرعاية ؟ أنا أود من الباحثين فى طبائع الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم فى أسباب التألف والمودة بين الحيوان والإنسان . فإن إطعام الكلب ولا شك سبب من أسباب وفائه وتعلقه بأصحابه . ولكن لا شك أيضاً فى أن الكلاب تفهم للمودة أسباباً غير الإطعام وتدرك معنى من معانى الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع .

وأوضح دليل على ذلك أن (بيجو) يعتبر نفسه تابعاً لمولاه (فيفى) ولا يعتبر نفسه تابعاً لأبيه أو خادم أبيه وكلاهما يطعمه ويلاطفه ويسقيه . أما (فيفى) فهو لا يطعمه ولا يسقيه ولا يتورع عن خطف طعامه إذا ساغ فى مذاقه ، وقد يتبرم به فيضربه أو يقبض على لسانه أو يضع إصبعه فى عينيه ، وبيجو فى كل ذلك لا يقابل الأذى بمثله ولا يفتأ متعلقاً بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه .

فلما زارنى (فيفى) مع أبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان المعقول المنظور أن يخف (بيجو) إلى الأب الكبير الذى يعنى بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته . غير أنه التفت أول ما التفت إلى (فيفى) العزيز دون غيره ، وتهافت عليه يعانقه ويلحس وجهه بلسانه ويثن أنيناً من فرط حنينه وفرحه ، وجهدنا جهداً شديداً فى التنحية بينه وبين مولاه الصغير لفرط ما أرققه بتحياته ومجاملاته . وكنا سبعة منا أستاذ فى علم الزراعة والحيوان وأخ له

أديب جمّ الإطلاع وصديق مهذب من أدباء الموظفين وسيدة إنجليزية وابنها اليافع ووالد فيفى وكاتب هذه السطور . فأتعبنا الكلب الأمين الودود جد التعب ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الآفاق . فماذا بين بيجو ومولاه فيفى من البر والمجارة غير الصلة النفسية التى لا شأن لها بالطعام والشراب ؟ ولماذا يحسب نفسه تابعاً للطفل ولا يحسب نفسه تابعاً لأبيه ؟ إنه لا يفقه أنهم اهدوه إلى فيفى الصغير ليكون لعبته وحارسه وعشيرته ، ولكنه قد يفقه أنه نذّه وقرينه بواشجة الطفولة والملاعبة الصببانية ، وهى على كل حال واشجة غير وشائج المنافع والطعام والشراب .

ويشبه هذا فى الدلالة على إدراك الخلائق العجماء للصلات النفسية أن (بيجو) لا يطيق (الطاهى) أحمد حمزة ولا يرتاح إلى رؤيته ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديداً له بالعقوبة والإقصاء . . . وهو مع هذا يألف فراش المنزل (محمداً) ويهش له ويستريح إلى مصاحبته فى المنزل وفى الطريق . فلم كانت هذه التفرقة عنده بين هذا وذاك ؟! كلاهما يقدم له الطعام ، ويزيد صديقه (محمد) بتجريعه الدواء الذى يتعاطاه لعلاج السعال أحياناً وهو يمقته وينفر منه أشد النفور . غير أن الطاهى (أحمد حمزة) يتحاشى (بيجو) خوفاً من النجاسة فيشعر (بيجو) بخفائه ويلقاه بمثله ، ويحتمل التجريع والغصص من زميله لأنه يحتفى به ويأنس إليه .

ومن إدراكه (للمعانى) الفكرية أنك إذا لمست بالعضا وهو غافل

عن رؤيتها فهو لا يبالي ولا يحفل ولا يحسبك غاضباً أو قاصداً لعقابه . ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هي عصا التأديب التى تخوفه بها ظهر عليه الرعب أو ظهر عليه الأسف والتوسل ، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير معنى الضرب وألمه ، وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب

والخلاصة أن (بيجو) مخلوق مفيد ومخلوق أنيس ، وهو أفيد ما يكون فى المكتبة التى يملكها ويستثقل ظلها ، لأننى استفدت على يديه فوائد جلية وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة فى علم النفس وعلم الاجتماع .

يقول علم النفس : إن التعاطف فى التربية والتعليم أنفع وأنجح من تبادل الأفكار ، وبيجو يؤكد لى ذلك لأننى أرى منه أن الكلاب أسرع تعلمًا من القردة وهى أرفع فى مرتبة التكوين والإدراك . وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعلم لأنها عاشرت الإنسان طويلاً فاتصلت بينه وبينها العاطفة وإن لم يتقارب بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ .

ويقول علماء الاجتماع من أنصار (الفاشية) . إن الغرائز لا تتبدل وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان . فلا فائدة لوعظ الواعظين بالسلام ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة . وبيجو يدحض ذلك أياً إدحاض ، لأنه تحدر من سلالة الذئاب فما زالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والحملان . وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بنى الإنسان وكل صغير أو كبير من أبناء الضأن .

ويعد (بيجو) بحق من أحسن الشراح للعالم الروسى العظيم (بافلوف) صاحب التجارب المشهورة فى إخوان بيجو من الكلاب الروسية . فإنه جرّب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام . فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه . فإذا بفمه يتحلب كذلك كلما دق الجرس ولو لم تصحبه رؤية طعام فبنى على ذلك مذهبه فى مقارنات العواطف ومصاحبات الشعور وظواهره الجسدية .

وجاء علماء النفس والتربية فاستفادوا من ذلك فوائد شتى فى علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التى يصعب علاجها فى بعض الأطفال ، فجعلوا يقرنون الشيء الخيف بالشيء المحبوب ليعودوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه ، ويقرنون الشيء المرذول الذى يحبه الطفل بالشيء المزعج الذى يقصيه عنه وينفره من إتيانه ليقلع عن ذميم الخلال بداهة وعفواً بغير أمر ولا إلحاح .

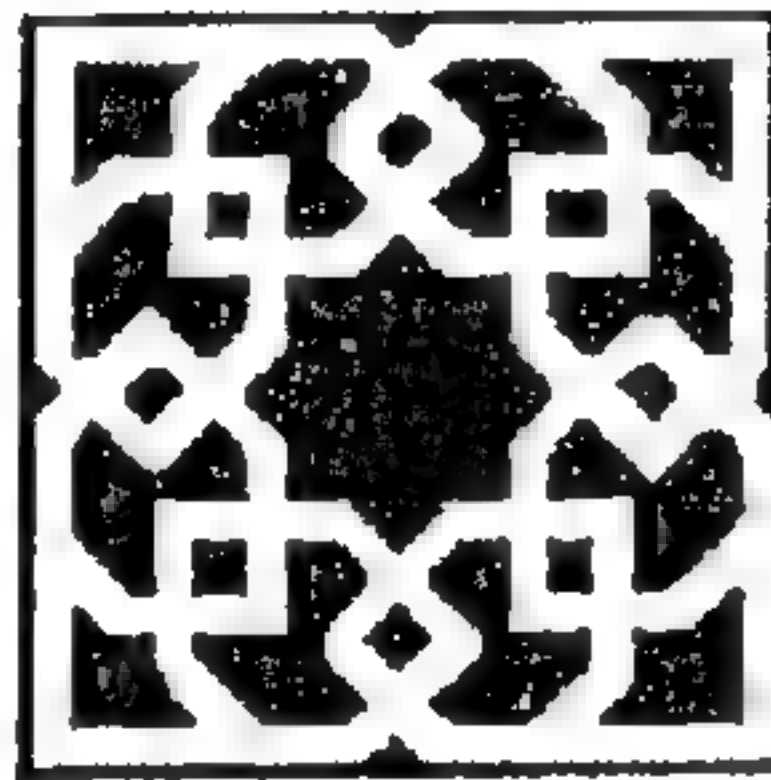
بيجو خير مفسر لهذا المذهب النافع الذى كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه . فقد عهدته فى منزله الأول وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق ، لأنهم كانوا يقيدونه بهما فى حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله .

فلما جاء عندى وليس للمنزل حديقة واسعة أطلقه فيها أصبحت السلسلة والطوق من أحب الأشياء إليه وأدعاهما إلى طربه وابتهاجه . . . لأنه تعود كلما ربط بالسلسلة والطوق أن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق وقضاء ساعته المندورة للمرح والرياضة فى الخلاء .

ولبيجو فنون أخرى يشارك في تفسيرها وتفهمها وقضايل شتى
يتبرع بهداياها ومزاياها ، وإن في بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير
للأستاذ بيجو والصديق بيجو والزائر الكريم بيجو . الذي نخشى أن
نسطو عليه ، لفرط ما نستفيد منه ونأنس إليه .

* * *

والآن وقد عرف القارئ من هو (بيجو) لا أرانى بحاجة إلى
اعتذار من الحزن والوفاء لذكره . فإنه لم يخطئ في وفائه ولم
يخطئ في خلقته . ولم يخلق إنساناً فدنس الإنسانية بالغدر ،
ولكنه خلق كلباً فشرف الحيوانية بالوفاء .



بيجو

حزنًا على بيجو تفيض الدموع
حزنًا على بيجو تشور الضلوع
حزنًا عليه جهد ما أستطيع
وإن حزنًا بعد ذاك الوكوع
والله - يا بيجو - لحزن وجيع

حزنًا عليه كلما لاح لى
بالليل فى ناحية المنزل
مسامرى حينًا ومستقبلى
وسابقى حينًا إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

وكلما داريت إحدى التحف
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبّهت وبى من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف ...
ذلك خينر من فؤاد صديع

حزنى عليه كلما عزنى
صدق ذوى الألباب والألسن
وكلما فوجئت فى مأمنى

وكَلَمَّا اطمأنتت في مسكني
مستغنيا . أو غانيا بالقنوع

وكَلَمَّا نادتيه ناسيا :
بيجوا ! ولم أبصر به أتيا
مداعبا مبتهجا صاغيا ...
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
حسبني ذاكرة ما حييت
لو جاءني نسيانه ما رضيت
بيجو مُعَزَّى إذ ما أُسيت^(١)
بيجو مناجي الأمين الوديع

بيجو الذي أسمع قبل الصباح
بيجو الذي أرقب عند الرواح
بيجو الذي يزعجني بالصياح
لو نبحة منه ، وأين النباح ؟
ضيعت فيها اليوم ما لا يضيع

خطوته .. يا برحها من ألم
يخدش بابي وهو ذاوى القدم

(١) أميت : شعرت بالأسى .

مستتجداً بى . ويح ذاك البكم !
بنظرة أنطق من كل فم
طول ما ينظر . ! هذا فظيع

نم لا أرى النوم لعيني تطيب
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قطمير هواكم عجيب (١)
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . . ولا من طلوع

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يُحد
عيناى فى ذاك وهذا الجسد
عيناى فى ذاك وهذا الجسد
بوشحة القلب الحزين انفرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

أبكىك . أبكىك وقلّ الجزاء
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعام وماء
لو صبح هذا ما مَحَضْتَ الوفاء
لغائب عنك . وطفل رضيع

(١) قطمير هو اسم كلب أهل الكهف .

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	٣	دنيا مقلوبة.....	٢٤
مقدمة - فى اسم الديوان	٥	الحب.....	٢٤
فى العالم		الطير المهاجر.....	٢٤
يا رب .. ويا خلق.....	١٥	الصدار الذى نسجته.....	٢٥
عباد الطغيان.....	١٥	قولى مع السلامة.....	٢٦
قريب قريب.....	١٦	الغيرة.....	٢٧
فصد.....	١٦	هبة لا تنقل.....	٢٧
الخلود المزدرى.....	١٦	بعض الزراية.....	٢٨
سوء توزيع.....	١٧	قبل السكر.....	٢٨
بأس الطغاة.....	١٧	لغير البيع.....	٢٨
الداء العالمى.....	١٧	جزاء التحدى.....	٢٩
قلت للمريخ.....	١٨	اعفاء.....	٣٠
جزاء الله.....	١٨	الحب الضاحك.....	٣٠
فى النفس		زهرة ديسمير.....	٣١
هذا هو الحب.....	٢٠	من تقليد «نشيد الأناشيد».....	٣١
عمر زهره.....	٢١	مزيج.....	٣٢
كوبيد يتسلل.....	٢٢	مسابقة.....	٣٣
مسرة واحدة.....	٢٤	لا تخلفى.....	٣٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أخلفى	٣٣	اللذات والويلات	٤٧
بنت البحر	٣٣	عجائب	٤٨
اكذابينى	٣٣	عدنا والتقينا	٤٨
تقويم العام	٣٤	نذر مقبول	٥٠
وعام ثان	٣٥	من الأستاذ عماد	٥١
وعام ثالث	٣٧	إلى الأستاذ عماد	٥٣
بعد سنة	٣٩	طلاء النفس	٥٥
المرأة والخداع	٤٢	بنيته	٥٥
رواية	٤٢	هنت والله	٥٧
لغيرك	٤٣	فراغ فراغ	٥٨
ماذا استفدت ؟	٤٤	في مصر	
تربصى	٤٤	غيث الصحراء	٥٩
فهمان	٤٥	تمثال سعد	٦٢
كيف ؟	٤٦	ثناء على ماهر	٦٥
مصبيتان	٤٦	عيد الجهاد ١٩٤٠	٦٦
ندم !	٤٦	إلى مهرجان السودان	٦٨
حلم الأبد	٤٦	في عالم الذكرى	
عيوبك	٤٧	ثلاث عشرة حجة	٦٩
مساومة	٤٧	تحية زعيم راحل	٧١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
على قبر إبراهيم	٧٤	رأى الناس	٩٣
آه من التراب	٧٥	بين هم وسامة	٩٣
عام محمد	٧٩	الطيش والحزم	٩٤
الشهيد معاوية	٨٢	يا كتبي	٩٤
عبد القادر	٨٣	عجز أو قدرة	٩٦
هناؤه		جواب جميل	٩٦
تفسير حلم .	٨٦	الفقير	٩٧
صوت السود ..	٨٦	ويلنا	٩٧
شعر الأسود	٨٧	سيان	٩٧
القمر والظلام	٨٧	أتمنى	٩٨
صلاح الأثير	٨٨	الصرف والمزيج	٩٨
إلى المستمع العربى بلندن	٩٠	خداع النفس	٩٩
بين التعب والراحة	٩٢	كيمياء وصيرفى	٩٩
هذا هو التاريخ	٩٢	جنة الخيام	٩٩
النقد	٩٣	بيجو	١٠١
الظن	٩٣		

من مؤلفات عملاق الأدب العربي الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

- | | |
|------------------------------------|--|
| ٢٣ - روح عظيم المهاتما غاندى | ١ - الله |
| ٢٤ - عبدالرحمن الكواكبي | ٢ - إبراهيم أبو الأنبياء |
| ٢٥ - رجعة أبي العلاء | ٣ - مطلع النور أو طوابع البعثة المحمدية |
| ٢٦ - رجال عرفتهم | ٤ - عبقرية محمد ﷺ |
| ٢٧ - سارة | ٥ - عبقرية عمر |
| ٢٨ - الإسلام دعوة عالمية | ٦ - عبقرية الإمام على بن أبى طالب |
| ٢٩ - الإسلام فى القرن العشرين | ٧ - عبقرية خالد |
| ٣٠ - مايقال عن الإسلام | ٨ - حياة المسيح |
| ٣١ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه | ٩ - ذو النورين عثمان بن عفان |
| ٣٢ - التفكير فريضة إسلامية | ١٠ - عمرو بن العاص |
| ٣٣ - الفلسفة القرآنية | ١١ - معاوية بن أبى سفيان |
| ٣٤ - الديمقراطية فى الإسلام | ١٢ - داعى السماء بلال بن رباح |
| ٣٥ - أثر العرب فى الحضارة الأوربية | ١٣ - أبو الشهداء الحسين بن على |
| ٣٦ - الثقافة العربية | ١٤ - فاطمة الزهراء والفاطميون |
| ٣٧ - اللغة الشاعرة | ١٥ - هذه الشجرة |
| ٣٨ - شعراء مصر وبيئاتهم | ١٦ - إبليس |
| ٣٩ - أشتات مجتمعات | ١٧ - جحا الضاحك المضحك |
| ٤٠ - حياة قلم | ١٨ - أبو نواس |
| ٤١ - خلاصة اليومية والشذور | ١٩ - الإنسان فى القرآن |
| ٤٢ - مذهب ذوى العاهات | ٢٠ - المرأة فى القرآن |
| ٤٣ - لا شيوعية ولا استعمار | ٢١ - عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده |
| ٤٤ - الشيوعية والإنسانية | ٢٢ - سعد زغلول زعيم الثورة |

- ٥٧ - مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٨ - دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٥٩ - آراء فى الأدب والفنون
٦٠ - بحوث فى اللغة والأدب
٦١ - خواطر فى الفن والقصة
٦٢ - دين وفن وفلسفة
٦٣ - فنون وشجون
٦٤ - قيم ومعايير
٦٥ - ديوان فى الأدب والنقد
٦٦ - عبد القلم
٦٧ - ردود وحدود

- ٤٥ - الصهيونية العالمية
٤٦ - أسوان
٤٧ - أنا
٤٨ - عبقرية الصديق
٤٩ - الصديقة بنت الصديق
٥٠ - الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ - مجمع الأحياء
٥٢ - الحكم المطلق
٥٣ - يوميات - جزء أول
٥٤ - يوميات - جزء ثانى
٥٥ - عالم السدود والقيود
٥٦ - مع عاهل الجزيرة العربية



من شعر عملاق الأدب العربي
عباس محمود العقاد

- | | |
|-----------------------|------------------------|
| ١. ديوان يقظة الصباح | ٦. ديوان عابر سبيل |
| ٢. ديوان وهج الظهيرة | ٧. ديوان أعاصير مغرب |
| ٣. ديوان أشباح الأصيل | ٨. ديوان بعد الأعاصير |
| ٤. ديوان وحي الأربعين | ٩. ديوان عرائس وشياطين |
| ٥. ديوان هدية الكروان | ١٠. ديوان أشجان الليل |

١١. ديوان من دواوين